تناسل الإبل وأعمارها

الجهاز التناسلي للناقة

المبيض. يشبه المبيض في تركيبه حبة البازلاء أو ثمرة البندقة. ويحتوي على جيوب بيضية عديدة، مما يعطيه شكلاً خارجياً يشبه عنقود العنب، يختفي تحت قبة رحمية عريضة. ويبلغ طول المبيض في النوق ذات السنام الواحد حوالي البوصة (٢,٥ إلى ٣ سم). ويوصف المبيض بأنه فصيص مستدير الشكل خال في مظهره من نقرة التبييض. وعرضه ما بين ١,٥-٢سم، وسمكه من ٨,٠سم-١ سم.

حياء الناقة

أما مبيض الناقة ذات السنامين، في حالة عدم التبييض، فيبلغ ما بين ٤-٥سم طولاً و١,٥-٢سم سمكاً ويصل عرضه إلى نحو ٣سم. ويبلغ وزن المبيض في الناقة حوالي ٢-٣ جرام. وقد وجد عدد من الباحثين أن هناك علاقة واضحة بين حجم المبيض عند الناقة وأنماط النشاط الجنسي لها.

الرحم. ينقسم رحم الناقة داخلياً إلى جزءين، يفصل بينهما غشاء، يبدأ من نقطة التحام فرعي الرحم حتى مقدمة العنق وتسميها البادية الحلق. ويتفرع فرعا الرحم بزاوية قائمة تقريباً، ويكون الفرع الأيسر أطول من الأيمن، ويبلغ طول

الرحم عند الناقة البكر حوالي ١٥ سم وعرضه ٥ سم. ويوجد الرحم في المنطقة التي بين الحوض والتجويف الأسفل للبطن، ويمتاز بوجود تجويف العنق القابل للاتساع والذي يقع ما بين ٣-٤سم. وتفتح قناة الرحم في تجويف الحياء (الفرْج من ذوات الخفّ والظلف)، مكونة فتحة المهبل، التي تحاط بثلاث أو أربع طيات دائرية حادة من الأغشية المخاطية المرتبطة بالحياء.

الغدة النخامية. هي غدة بيضية الشكل، وتوجد تحت قاعدة المخ في تجويف صغير يسمى الكهف النخامي. وتربط قناة صغيرة تسمى القمع أو الغدة النخامية بقاعدة المخ، ويفصل الغدة النخامية عن الدماغ نسيج ليفي يسمى الحجاب، حيث تمر من خلاله قناة القمع. وخلال فصل تناسل الإبل تكون الناقة مستعدة للتلقيح لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، وقد تزيد. ويتبع هذه الفترة ١٠-٢٠ يوماً من الشبق.

ومن الصفات التي تطلق على الناقة وهي في هذه الحالة الضبعة، وهي شدة شهوة الناقة للفحل، وناقة مضبعة اشتهت الفحل فهي ضابع، وهوست الناقة اشتدت ضبعتها. والهدمة الناقة التي تقع من شدة الضبعة.

فإذا لم تُلقح خلال إحدى هذه الدورات فإن الدورة تعاد مرة أخرى. ومن المعتقد أن نشاط مبيض الناقة يتغير بتغير الفصول من السنة، مع وجود نشاط مبيضي كبير في الشتاء (الفترة الواقعة بين شهر ديسمبر ومارس). ويعد معدل الإخصاب في الإبل منخفضاً بمقارنته بالحيوانات المستأنسة الأخرى. ويرجع السبب في ذلك إلى طول الفترة اللازمة لنضج الذكر من الناحية الجنسية، وكثرة موت الأجنة، إضافة للتركيب التشريحي غير العادي للجهاز التناسلي في الأنثى (الصانع ١٩٨٤: ٨٩-٩٦).

ضراب الإبل

يختلف موسم تناسل الإبل باختلاف المناطق، ولكن المألوف أنه مصاحب لحلول الفصول الرطبة، وقد يحدث التناسل في فصل الصيف. وتصبح ذكور الإبل بالغة جنسياً عندما تبلغ من العمر ٤ إلى ٥ سنوات، بينما تبلغ الإناث عند عمر ٣ إلى ٤ سنوات. ومع هذا، فهي لا تتكاثر إلا عندما تكبر، والأنثى تظل قادرة على الإنجاب حتى يصل عمرها إلى ثلاثين سنة، وفترة الحمل في النياق سنة كاملة إلاّ إذا جَرَّتْ الناقة، فقد يصل الحمل إلى ١٤ شهراً.

ويصبح البعير قادراً على الضراب وهو جَذَع (ابن خمس سنوات)، وتقول البادية «الجذع لذع والثني وني» أي أن الجذع لديه القدرة على كثرة الضراب ولكنه ضراب قد لا يُلقح؛ أما الثني فتطول الفترة لديه بين ضراب وآخر ولكنه أقدر على الإلقاح من الجذع. ويصبح البعير فحلاً كاملاً عندما يكون رباعاً. وعلى كل حال فإن لقاح الأنثى وهي صغيرة السن (بين ٣-٤ سنوات) مضر بها، إذ إنَّ رحمها يكون ما يزال في طور النمو والاكتمال.

وهياج الإبل عادة في فصل الشتاء، عندما تبرد الأرض ويبدأ النبات بالظهور. وذلك في بداية شهر أكتوبر حتى نهاية مارس تقريباً. يقوم الجمل أثناء هيجانه، خلال فصل التلقيح، وحتى في غيره من الفصول، بشم المنطقة التناسلية للأنثى، وبولها أو بعرها (دمنها) ثم يكرر ذلك، وتكون مدة الشم عند التكرار أطول، وتقول البادية يكرفها. ثم يرفع الجمل رأسه عالياً مع فتل شفته العليا إلى الخلف، وهذه المغازلة مشابهة لمغازلة الحيوانات الأخرى المزدوجة الأصابع. وقد يعض الجمل الأنثى، قرب منطقتها التناسلية أو خلف السنام، وفي بعض الأحيان تكون العضة قوية حتى يسيل منها الدم. وقد وجد أن هذا السلوك يحدث أيضاً بين الإناث والذكور المخصية ولايحدث رفع الرأس مع فتل الشفة العليا فقط عند شم الجمل رائحة البول أو الدمن.

كما وجد أن الجمل العربي عندما يقترب من أنثاه فإنه يطلق هديراً متكرراً، مع رفع رأسه عالياً وهو ما يفعله عند القتال. ثم يقوم الجمل الهائج بإبراز شقشقته، ويسميها البدو هدّاره (من الهدير) ونفخها، ويحك مؤخرة رأسه (قذاله) بكتفه. وقد لوحظ أن الفحول المعزولة عن إناثها أثناء فصل الهياج تظهر هدارتها عند سماعها لصوت الأنثى، حتى ولو لم تكن تراها. وبالمقابل تستجيب الأنثى لهذه المغازلة مع إظهار رغبتها ورضاها، حيث تقوم بفحج أرجلها الخلفية بعضها عن بعض، ثم

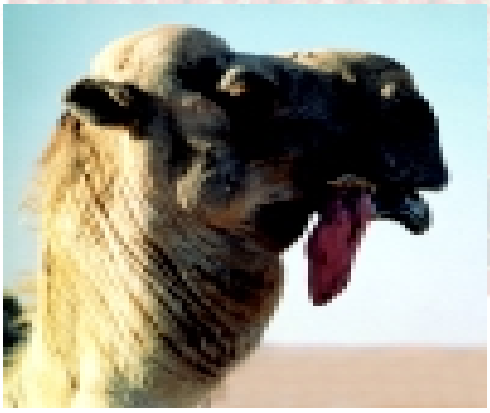

الفحل الهائج يظهر هدارته قبل الضراب

تتبول ببطء أمام الفحل مبدية أعـضاءها التناسلية، وقد تقوم بحك جانبها بجانبه فتزيد من هيجانه. أما الأنثى المعزولة أو المحجوزة مع الفحل فتقوم بالرغاء بشدة وتتمرغ على الأرض، كما تدفع الفحل وتتبول باستمرار وعلى فترات، وتخبط الأرض بأرجلها مع القفز والرمح، ويقال لها مجسِّر.

والإبل هي الحيوانـات الوحيدة من ذات الخف التي تـقوم بعملية الضـراب وهي باركة عـلى الأرض. وعادة تبرك الأنثى، وهي في حالة التجسـير، على الأرض تلـقائياً، عـندما يقـترب منـها الفحل. أما إذا لم تفعل ذلك فإن الفحل يرغمها على البروك بإحدى وسائله؛ كأن يقوم بتمرير أنفه على طول رأسها ورقبتها وجانبها حتى يصل إلى منطقتها التناسلية. فيفرك أنفه ويحكه بها، كما يحكها برقبته أيضاً، ثم يضع رقبته على رقبتها أو على ظهرها، ويضغط عليها إلى أسفل بثقله الكامل، وتـقول البادية يحـنكها. فإذا استـمرت الناقـة في المعارضـة، وعدم الاستجابة للفحل فإنه يقوم بـعضها في يدها أو فـي العرقوب، وعنـد هروبها يعضها في ذنبها أو ظهرها، وهذا العض يمنعها من المشي ويضطرها للبروك على الأرض. وإذا حاولت الهـرب منه فإنه يطاردها، ورقبته ممدودة إلى الأمام مثلما يفعل عنـدما يطارد فحلاً آخر، وتقول البادية يسنّها.

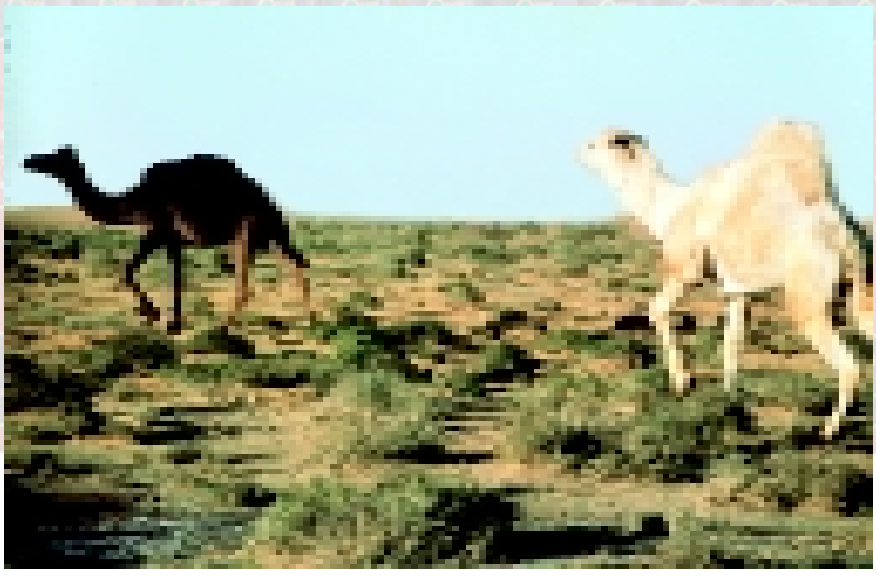

الفحل يطارد الناقة

الفحل يضع يديه الأمامية على كتفي الناقة

وهنالك العديد من الاعتقادات الخاطئة حول هذه العملية؛ منها أن الجمل لا يلقّح الناقة بحضور الإنسان، أو أن الجمل ينزوي بناقته بعيداً عن القطيع والإنسان وباقي الحيوانات الأخرى، ويعتقد بعض الناس أن عملية التلقيح تتم بوضع تكون فيه مؤخرة الجمل مقابلة لمؤخرة الأنثى؛ نظراً لأن القضيب يخرج من جرابه متجهاً نحو الخلف. وجميع هذه الاعتقادات غير صحيحة، وربما صدرت عن بعض من ليس له علم أو مشاهدة، وقد نفاها الباحثون والمهتمون عرباً وغير عرب؛ ذكرت جوذير بلترز وداج أنهما شاهدتا ضراباً بين الفحول ونوقها في عام ١٩٧٦م، على الرغم مما يشاع عن عدم استعدادها للضراب في وسط الناس، ومع وجود حيوانات أخرى حولها، وكان ذلك عقب فترة طويلة من الجفاف وصلت للعامين. ووجد أن وضع الضراب بين زوجين من الإبل يحفز الإبل الأخرى التي حولها للقيام بالعمل ذاته (Gauthier-Pilters and Dagg 1981).

ووصف بعض العلماء عملية ضراب الإبل فقال:

> يركب الجمل أنثاه بعد بروكها، بوضع يديه الأمامية على جانبي كتفيها، ورجليه الخلفية على كل من جانبي حوضها، ومن ثم يقعي عليها، ويقال انسحل الجمل على الناقة. وبهذه الطريقة فإن الكركرة

تستريح على مؤخرة سنامها، ويداه الأماميتان تظلان ممدودتين وملامستين للأرض، بينما رجلاه الخلفيتان تظلان مثنيتين تماماً. والمساحة بين العقب والعرقوب تستريح على الأرض، بينما يمتد الرأس والرقبة إلى الأمام مستقيماً ومرتفعاً فوق رقبة الأنثى. ويستمر الذكر والأنثى على هذا الوضع لمدة تتراوح من ١٠-٢٠ دقيقة، حيث يقذف الفحل حيواناته المنوية ثلاث أو أربع مرات خلال هذه الفترة. وتقوم الأنثى أثناء عملية الضراب بعدة حركات، فهي تنخر في بعض الأحيان، وتعض رقبة الفحل بلطف. أما الفحل فيطلق أصواتاً خفيفة منخفضة تسمى إرزام، مع إفراز اللعاب من فمه (يسَعبِل أو يزبد)، وإخراج هدارته ونفخها. وبعد انتهاء العملية يسقط الفحل نفسه جانبا عن الناقة قبل وقوفه على قوائمه. وتحتاج عملية الضراب إلى شيء من التدريب، بأن يقف المدرب أمام الجمل إذا أراد ضراب الناقة، كلما رآه يريد أن يبرك على سنامها وخزه بعصاه في نحره إلى أن يراه ينزل مؤخرته على مؤخرتها فيتركه. ويكرر الفحل هذه العملية عدة مرات مع نياق أخرى فيتعلم الجمل الانسحال ويترك البروك (Khan and Kohli 1973).

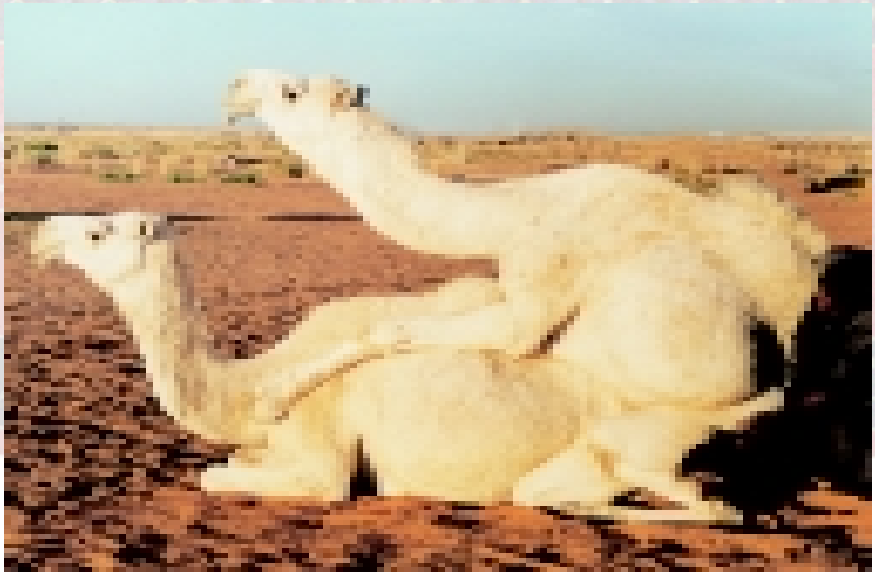

الراعي يساعد الفحل في عملية الضراب

الاحتضان الكامل

ولاحظ عدد من الباحثين أنه في المناطق التي تعيش فيها الإبل العربية (ذات السنام الواحد)، مع الإبل البكتيرية (ذات السنامين)، فإن عملية الضراب بينهما تكون خطيرة جداً. فإذا كان الفحل ذا سنام واحد، والأنثى ذات سنامين، فإن الفحل في هذه الحالة يمكن أن يسبب لها ضرراً، وذلك بأن يثب على سنامها الثاني ويجعلها تتدحرج على جانبها ويصبح وضعها خطراً في هذه الحالة. أما عندما يكون الفحل ذا سنامين، والناقة ذات سنام واحد، فإن الفحل في هذه الحالة يمكن أن يفقد توازنه أثناء الضراب ويسقط، ويرجع ذلك لقصر أرجله مقارنة بأرجل الجمل العربي.

ويبلغ الجمل نضجه الجنسي عندما يتراوح عمره بين ٤-٥ سنوات، ومع هذا فإنه لا يقوم بتلقيح أنثاه إلا في سن

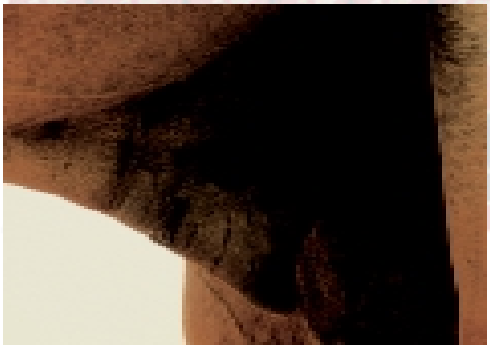

غطاء ذكر البعير قبل شقه

متقدمة عن ذلك؛ لأنّ على قضيب البعير غطاء أحمر لا يلقح حتى يستطيع شقه بذكره، وربما حدث ذلك وهو جذعٌ أو تأخر إلى أن يصبح ثِنِيْ وهناك من البادية من يقوم بشق ذلك الغطاء، كما تقوم البادية بتعليم الفحل عملية الضراب فيدرب على أن ينسحل بيسر على الناقة ويمنعونه من البروك بزوره على سنامها حتى لا يكسر سنامها وخاصة إذا كانت سمينة.

وقد لوحظ أن الفحول من الإبل أثناء فصل الهياج تسلك مسلكاً عدوانياً مخيفاً، عند تلقيح إناثها، حتى إن بعضها قد يقتل الحيوانات الأخرى التي تعترض طريقه بل قد يقتل الإنسان. وأثناء ذلك تقوم الفحول بحك مؤخرة رؤوسها بأكتافها، حيث تفرز الغدة القذالية موادها بغزارة. أما الفحول المحجوزة التي ورد فيها المثل «يهدر في العِنّه» فهي تحاول الهرب من محجزها أو من عملها إذا كانت تستخدم لغرض من الأغراض، مع إطلاق أصواتها وتتدلى هدارتها، وهي في حالة حجزها لا تأكل إلا القليل، وتصبح ضعيفة وهزيلة. ومثل هذه الفحول يمكن للواحد منها أن يلقح حوالي ٧٠ ناقة في الموسم. ونتأمل هنا حكمة الخالق سبحانه في أن هذه الفحول الهائجة تمتنع عن الأكل وتضمر بطونها وتخف أجسامها فلا يؤذي الفحل الناقة عند ضرابها وهو يضغط على سنامها؛ فسبحان الخالق الحكيم الذي أمرنا بالنظر إلى الإبل في قوله تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية: ١٧).

وفحص كلٌّ من الهواوي ويوسف الحيوانات المنوية للجمل العربي باستخدام المجهر الإلكتروني، ولاحظا وجود حيوانات منوية كاملة التكوين في الجمال التي يبلغ عمرها حوالي ست سنوات.

ولوحظ أنه يمكن لفحلين من الجمال الهائجة أن يتقاتلا معاً حتى الموت للحصول على الأنثى أيهما يظفر بها. وهذا السلوك غير معروف أو مألوف في الحيوانات الأخرى ذوات الحافر. ولا ينحصر خطر هذا القتال على الفحول الهائجة فحسب، بل قد يتعداه إلى الإنسان. وفيما يلي وصف لبعض التغيرات الفسيولوجية التي يمكن مشاهدتها على الجمال الهائجة.

عندما يرى البعير الهائج إنساناً أو حيواناً فإنه يتجه إليه رافعاً رأسه على قدر استطاعته، هادراً بخفض رأسه ويعيد رفعه عالياً، ثم يثنيه إلى الخلف ليظهر الشعر الشجيري تحت ذقنه، وفي الوقت نفسه يصك بعض أسنانه وأضراسه وأنيابه

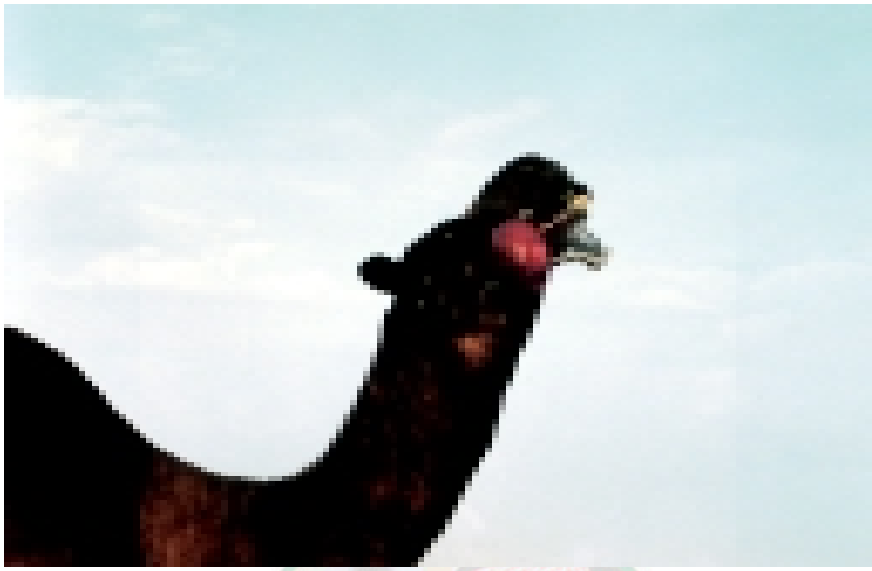

الفحل الهائج يظهر هدارته إذا رأى إنساناً أو حيواناً

فوق بعض محدثاً صوتاً (يضرس)، وربما يفعل ذلك استعداداً للعض. وأثناء ذلك يسيل اللعاب من فمه بكثرة ويطفح عليه الزبد. يصاحب ذلك انتفاخ الهداره وبروزها خارج الفم. والهداره عبارة عن كيس أحمر اللون يتكون من الجزء البطني الجانبي للفم حيث يملأ بالهواء بواسطة القصبة الهوائية، عند إغلاق الفتحات الداخلية للأنف. ويوجد كيس الشقشقة (الهداره) في جميع الجمال البالغة، وهو صغير في الإناث ولا يبرز خارج الفم. ويزداد كيس الهدارة طولاً عند الفحول خلال الفصل البارد، وقد يصل إلى أكثر من ٣٦سم طولاً. ووزنه في الجمال الهائجة أكثر من ٢٢٣ جراماً. ويعتبر هذا التركيب، دون شك، ظاهرة مميزة لجنس الجمل العربي دون الجمل ذي السنامين.

أما سلوك الجمال الهائجة المتعاركة فإنه عندما يتقابل جملان هائجان فإن أحدهما يقف بعيداً عن الآخر عدة أمتار، ويفتح رجليه الخلفيتين فتحة متسعة، ثم يتبول على ذيله الذي يحركه بقوة إلى الأمام والخلف بين رجليه، وتقول البادية «يلاسب» أو «يشاخر»، وكما هو معروف فإن البعير يوجه البول إلى الخلف، ثم يرفع ذيله المبلل بالبول إلى أعلى، ويضرب به الجزء الخلفي من جسمه، ويكرر الضرب بسرعة وشدة محدثاً صوتاً مسموعاً. فتتناثر

قطرات البول، من أثر الضرب، متفرقة لعدة أمتار.

وكلما كان الجمل أشد هياجاً، كانت زاوية انفتاح رجليه الخلفيتين أوسع، ودرجة انثناء ركبتيه أكبر، وضربات ذيله أسرع وأقوى. وقد يَحْدُث الضرب بالذيل دون أن يتبول. وتنتهي هذه العملية المثيرة بانسحاب أحد الفحلين قبل وقوع المعركة. أما إذا لم ينسحب أي منهما، فإن أحدهما يهاجم الآخر بالعض محاولاً إسقاطه على الأرض. فإذا هرب طارده وعضه في فخذيه وخاصرتيه وعرقوبيه ويديه وذيله. وأما إذا تقابلا فيبدآن بالعض والدعك والعرك بالأكتاف، حتى إذا سقط أحدهما بدأ المنتصر يعركه بزوره ويعضه ويضع رأسه بين يده ورأسه ويقوم بخنقه، فلا تنتهي المعركة إلا بموت أحد الجملين أو إنهاكه تماماً.

وعندما يقترب فحل غير هائج، من آخر هائج في وجود أنثاه، فإن الأخير يطرده بعيداً على الفور، دون أن يقوم بحركات التخويف، التي سبق وصفها، ودون أي سابق إنذار. فهو في هذه الحالة، يمد عنقه إلى الأمام ويبدأ بالمطاردة. وعند عودته إلى أنثاه فإنه قد يقوم بعرضه المروع كليا أو جزئياً. وخلال فترة الهيجان فإن الذكور الهائجة والبالغة، تتحمل وجود الجمال الصغيرة في قطيعها حتى تصل أعمارها إلى سنتين. ومع هذا فإذا أبدت بعض هذه الجمال الصغيرة، أية حركة قتالية في هذا الوقت، فإن الجمال البالغة تقترب منها، وتخيفها على النحو نفسه من السلوك السابق ذكره، حتى تكف عن حركاتها العدوانية.

أشار السويداء إلى أنّ الهدير صوت الجمل الهائج حين يقترب من طروقته يريد ضرابها فيخرج الهداره من فمه، ويتكون الهدير من الكشيش (التزوام، من يزوم) وهو أول ما يسمع له من الأصوات، ثم التمتمة، وهي الصوت المتقطع، والذي يتمتم هو الجمل الذي لا هدارة له، ثم الهدير، وهو الصوت القوي المتصل وأشد درجاته البذخ. ويُشَبَّهُ الإنسان المندفع بصوت مرتفع بهدير الجمل، قال الشاعر عبد الله بن فرحان القضاعي:

رغى عقاب التمتمه والهديري
من خوف مصقولٍ يقص العتاري
(١٤١٣، ج٢: ١٠٥)

أما الحبردي فقد ذكر أنه عندما يهيج الجمل، يبدأ بالهدير والإضراس بأنيابه. وتقترب منه النياق المجاسير. والجمل المكتمل، الذي يبلغ سنه أكثر من أربع سنوات، تظهر في فمه هدارة حمراء

الرغاء والزبد

عند الهدير شبيهة بالرئة، ويخرج من فمه زبد أبيض بلون الثلج، ويصدر عنه صوت شبيه بهزيم الرعد، ويفرز عَرَقاً (صنان) خلف الأذنين، ويضرس بأنيابه بصوت يشبه الصفير تسميه البادية الصريف، وهو صوت احتكاك أنيابه بعضها ببعض من شدة الهياج. أما الذي لم يبلغ سن الفحولة من الذكور، فإنه يصدر تمتمة أقل من الهدير، ولا تظهر له هدارة، وإنما صوت خفيف وحركة ارتعاش في الأنف.

وعندما يهيج الجمل يكون الاقتراب منه، أو التعرض له، أو طرده عن النياق المجاسير ضرباً من التهور والمخاطرة. إذ إنه في هذه الحالة يزداد هياجاً، وقد يهجم على من يحاول إبعاده عن الإبل، ولا يدعه حتى يقضي عليه إذا لم يتم الاحتماء منه بجبل أو شجرة. وأحياناً يحتالون عليه برمي شيء من ملابسهم فوق شجرة فيهجم عليها ويدعكها بزوره (كلكله)، فيغتنمون هذه الفرصة للهرب منه. وعند الهياج يكون الجمل في حالة شبيهة بالسعار فيجتنب الأكل، إلا القليل، حتى يضمر جسمه. وعندما تُلقح الناقة فإن الفحل يجتنبها ولا يرغب في الاقتراب منها. ولكنه عكس ذلك في حالة الناقة التي لم تُلقح، فإنه ينطلق نحوها وقد تدلت رقبته وأخذ يضرب فكيه بعضهما ببعض.

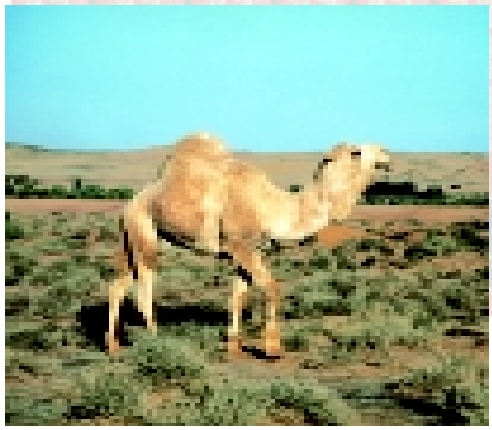

فحل مقيد

وعندما يرغب صاحب الإبل في معرفة الناقة التي لم تُلقح، فإنه يطلق الجمل على مجموعة الإبل فيخرج الفحل تلك الناقة ويقوم بإعادة تلقيحها مرة أخرى. وعندما ينتهي الجمل من تلقيح النياق فإنه في معظم الأحيان ينفر منها وينفرد عنها، لذلك يقيده صاحبه بقيد وهجار لكي لا يذهب بعيدا فيضيع في الصحراء.

ويذكر الحبردي أن الفحل يهدر وهو ثني، ولكن إذا ولد في المربعانية (وسط الشتاء) فإنه يهدر وهو جذع وقد يعتمد ذلك على نوع الغذاء، فكلما حسن غذاء القَعُود كان أسرع للتهيؤ للضراب. أما البكرة فإنها تُلقح وهي ثنية وقد تلقح وهي حقة أو جذعة، ولكن الأفضل أن تلقح وهي ثنية.

ولا بدّ من اختيار فحل الإبل عن خبرة ومعرفة، فالإبل المغاتير يختارون لها فحلاً أوضح، وللمجاهيم فحلاً أسود غورياً أو أملح، وللحمر فحلاً أحمر.

ويكون مع الرعية (القطيع) المتوسطة من الإبل فحل واحدٌ، ولا يطلق فحلان إلاّ في رعيتين متفرقتين. وقد تحفظ سلالة صغيرة لتكون فحولاً في المستقبل لجمل مرغوب في جنسه أو يكون ابناً لناقة مشهورة باللبن أو السرعة. وكلما زاد القطيع من الإبل زاد عدد الفحول.

وفي معتقد البادية، ولعله الصحيح، أن الناقة ماعون والمعتمد في السلالة هو الفحل. فهناك فحول يكون نتاجها جيداً وشبيهاً بها، إذا كانت تتمتع بالمواصفات المطلوبة في الجيد والكريم من الإبل. وهناك فحول تشبه فحول النخل، يكون نتاجها شبيهاً بأمهاتها. لذلك عندما ترغب البادية في تحسين السلالة تعمد إلى النوع الأول من الفحول للضراب، وأما إذا كانت الناقة طيبة فتعمد البادية إلى النوع الثاني من الفحول للضراب، وإن كان ذلك قليل الحدوث.

ويُفضل في الفحل المجهم أن تكون مشافره طافية وله سبلة، وحنك طويل، وعرنون مرتفع يكاد يشبه جلده حتى ليبدو وكأنه أفنس، وأن تكون الفنسة عريضة. ويرغبون فيما كان رأسه كبيراً واضح الكبر، وأذناه طويلتين حادتين متقاربتي الرأسين وكأنهما قرنا تيس ظباء. وأن تكون له معارف طويلة، ورقبة طويلة جليلة ممتدة للأمام بتوسط، فلا هي الممتدة كثيراً حتى لا يكون أحبط ولا معوجة كثيراً حتى لا يكون أعج، وإذا التفت استدار رأسه كاملاً دون أن يثني رقبته. وأن يكون غاربه طويلاً ممتداً مرتفعاً (سناد)، ويكون سنامه مرتفعاً مقوساً عريض الجنبين، وأن يكون رأس سنامه

فحل مجاهيم أصهب

مقابلاً لسرته وكأنما ركب عليها، له وبر محلَّق، أي ذا حلق اجعش، معكرش، وأن يكون عجزه كبيراً عريضاً، وعكرة ذنبه عريضة، وأن يكون ذيله جليلاً متوسط الطول ذا هلب طويل.

أما فخذه فيفضلونه عريضاً مكتنزاً باللحم، وأن يكون عرقوباه لا مركوزين ولا منخفضين، أعقل واسع ما بينهما وأن يكون عظماهما عريضين، وأن تكون عظمة الساق عريضة أيضاً. ويستحبون ما كان خف رجله واسعاً طويل الشقر، وخف يده واسع الاستدارة طويل الشقر، وعظام ذراعه وعضده عريضة وكذلك عظم الكتف، وأن يكون الزور واسعاً. ويفضلون أيضاً أن يكون الفحل طويلاً مرتفعاً، ويقاس ذلك بالمسافة بين أعلى نقطة في الغارب وخف اليد. وأن يكون عريض الجنب ذا شقة واسعة، وتقاس بسعة المسافة بين عظمة الكتف وعظمة الورك الناتئتين. كما يحبونه أكولاً، يشرب بنهم وشراهة، أسود اللون غورياً أو أصهب مورَّساً (أصفر) وإن لم يكن فأملح. ويشترطون فيه أن يقوم عند عملية الضراب بالانسحال (الإقعاء) فلا يبرك فيضر الناقة بثقله. وأن يتم التعرف عليه في وسط الإبل عن بعد لكبره وعلوه وكأنه هضبة سوداء.

فإن كانت هذه المواصفات مكتملة فيه فيرغب منها الذي يجذب نتاجه إلى شبهه فتكون جميعها تشبهه. وإن لم

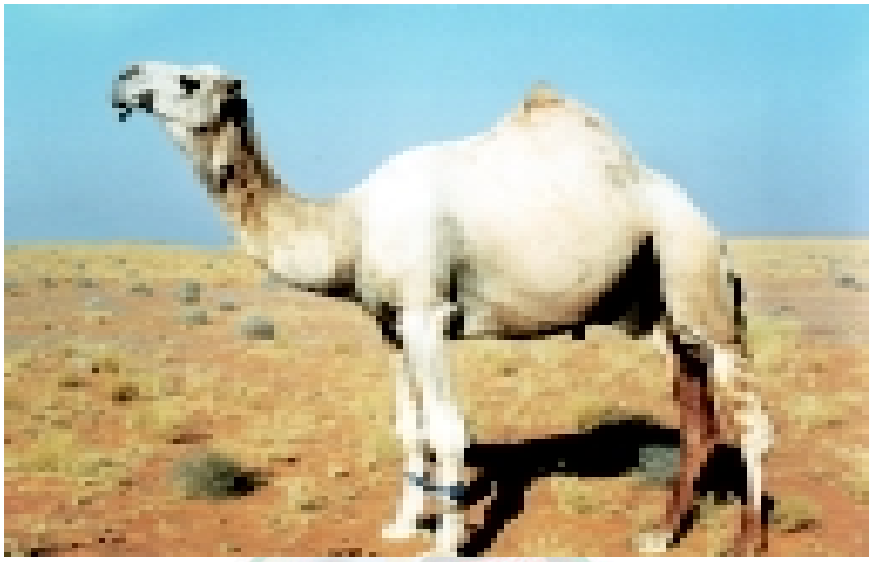

فحل مغاتير

تكن هذه المواصفات مجتمعة فيه يرغب في الذي يكون نتاجه يشبه أمه وجدته وأخواته من الفحل، على أن يكنَّ جميعاً يحملن المواصفات المطلوبة. أما إذا كان نتاجه يشبه لأم المنتج، أي كأنه فحل نخل فلا يهد إلا في ذات المواصفات الجمالية العالية حتى تلد الأم ما يشبهها.

هذه مواصفات الفحل المجهم، ويلاحظ أن الفحل المغتر يشترك معه في جميع المواصفات ما عدا ثلاث منها تتعلَّق بالأذن واللّون والعراقيب؛ فالأذن المرغوبة في الفحل المغتر هي المستديرة الخرعاء أي المتأخرة عن هامته. أما لونه فيشترط أن يكون من لون المغاتير التي هو فيها؛ فإن كن وُضحاً كان أوضح، وإن كن صُفراً كان أصفر، وإن كن شُقحاً كان أشقح، وإن كن شُعلاً كان أشعل. ولا يهتم في الفحل المغتر بصفة عراقيبه.

وتسمى الفحول من الإبل غير المرغوبة في التلقيح لعدم أصالتها العكد، وهي من الإبل بطيئة الجري متوسطة الجسم كثيرة الرغاء صعبة الطباع.

وإذا لقح الفحل النجيب ناقة غير نجيبة قيل لنتاجها السباطي. ويضيف الشراري أن الفحل يلقح عدة نياق في اليوم لا تقل عن ثلاث أو أربع. وفترة التضريب للفحل تختلف حسب قوة التحمل، فقد تكون بحدود ربع ساعة وقد تزيد أو تنقص. وإذا جسّرت الناقة

ناقة معشر، تشول (ترفع ذنبها) وترفع أنفها

وضبعت (طلبت الفحل) قبل الهداد (موسم الضراب) قيل «جسّرت بدريه»، وإذا عشرت الناقة (لقحت) ترفع ذنبها (تشول) عند اقتراب الفحل منها، وتتبول، فيعرف الفحل أنها لقحت، خاصة إذا شم بولها (وزرها). فإذا عاشر الفحل كل إناث الإبل التي في رعيته فإنه يفدر، ويقال «فدر البعير، وبعير فادر» فيهدأ هيجانه ويكف عن الضراب، فتألفه المعاشير من الإبل، وتقول البادية «نياق مربات فحلها» أي لا يذهبن عنه، فيصبح كالراعي لها.

وفي المثل «قالوا قلّت البل، قال اضرب الحقه» ويؤكد هذا المثل أن البكرة من الإبل لا تضرب إلاّ جذعة، ذلك أن ضرابها وهي حقة (وتسمى لقية في الجنوب) يؤذيها كثيراً، لأنها لا تحتمل الحمل لصغر بطنها وضيق حوضها. ويقصد بالمثل أن المضطر يضرب الحقة، بدلاً عن الجذعة، لزيادة عدد إبله.

ويقال للناقة التي لا تلقح إلاّ بعد أن تكون رباعْ أو بعد سنتين من آخر ولادة لها متخطريْ أو معديْ. وورد في اللسان أن الإمغال هو أن تراح الإبل (الناقة) من الحمل سنة، وتقول البادية نحيّلها، أي نتركها سنة أخرى من دون لقاح.

أما المهاة فهو ماء الفحل في رحم الناقة. وقالوا: أملصت الناقة فهي مملص، إذا رمت حوارها لغير تمام (إصعاد أو خداج). والمسي هو أن يدخل

الراعي يده في رحم الناقة يمسط ماء الفحل من رحمها (يبعده) كراهية أن تلقح الناقة منه، وتقول البادية «نزف عنها ماء الفحل».

وتسمي البادية ماء الفحل المواه، وإذا فسد لقاح الناقة في الشهر الأول أو الثاني تقول البادية كسرت أو فيخت أو أفختت، أما إذا بينت اللقاح فيقال بشَّرت باللقاح أو أبرقت. فإذا تخلق الجنين في بطنها ثم رمت به قيل أصعدت أو أهبدت، أما إذا رمت به وقد نبت شعره فيقال له خداج، وقد يسمى إغراق أو إسباق. وإذا ولد قبل تمام شهور اللقاح وكان حياً يقال له عجال أو خداج، وعند بلوغ الناقة الشهر الثاني عشر من لقاحها يقال لها «ناقة امرت» و«ناقة لاقت» أي وصلت بحملها للشهر الذي تم إلقاحها فيه. وإذا هلّ اليوم الذي أضربت فيه، أي تمام الاثني عشر شهراً قيل مزهزم. وإذا تعدى الجنين في بطنها الاثني عشر شهراً قيل للناقة ناقل أو تنقل، ولا تزيد هذه المدة عن شهرين. وإذا ضُربت الناقة بعد ولادتها وحوارها صغير، أي وهي خلفة فيقال ناقة كسوب، وهذا يؤدي إلى قلة لبنها وهزال حوارها لأنه لا يجد التغذية الكاملة، ولا تفعل البادية ذلك إلا في حالتين؛ الأولى عندما يجدون بعيراً مرغوباً في مواصفاته ويكون حوارها الذي ولدته من فحل غير مرغوب فيه، والثانية أن تكون الناقة طيبة النتاج فيضربونها الفحل، ويضيرون لابنها ناقة أخرى.

ما ورد في التراث عن هيجان الفحل

ورد ذكر حالة الجمل العربي عند هيجانه في عدد من مقولات التراث العربي شعراً ونثراً.

ولقد تعوذ رسول الله ﷺ من الأَيْهَمَين، وهما: السيل والجمل الهائج، ويسميان أيضاً الأعميان؛ لأنه لا يردهما شيء. وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ قوله:

> وليس ذلك بأعجب من شقشقة الجمل العربي، فإنه يظهرها كالدلو، فإذا هو أعادها إلى لهاته تراجع ذلك الجلد إلى موضعه فلا يقدر أحد عليه بلمس ولا عين... وللجمل هيج وصياح... ويقيم على هذه الصفة عاين أم لم يعاين الأنثى. والجمال عند الاغتلام وطلب الضراب فإنها، وإن تركت الشرب والأكل أياماً كثيرة، فإنه لا يقوم لشيء منها شيء من ذلك الجنس، وإن كان قوياً شاباً آكلاً شارباً (أي لا يماثلها حيوان آخر في حالة

الهيجان). والجمل في تلك الحالة (هيجانه) لا يدع جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته (جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة). والجمل خاصة يكره قرب الفرس، ويقاتله أبداً. والجمل لا بدّ أن تكون طروقته (الناقة) باركة. ومما يوصف بالكبر الجمل الفحل، إذا طافت به نوق الهجمة ومر نحو ماء أو كلأ تبعنه (١٣٦٤، ج٤: ٢٧٥).

ويذكر الجاحظ أيضاً أنه:

كان لأصحاب الإبل ما يحرمونه على أنفسهم: الحامي والسائبة، والحامي هو الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود -قيل عشرة أبطن- فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام أي حمى ظهره، فيترك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يمنع من ماء ولا مرعى. وكانت العرب إذا كثرت إبل أحدهم فبلغت الألف فقأوا عين الفحل فإذا زادت الإبل على الألف فقأوا العين الأخرى. وكانوا يزعمون أن ذلك يطرد العين والسواف (الموتان يقع في الإبل) والغارة. والسدم عندهم هو الفحل الذي يرغب عن فُحْلته (لا يريدونه لنياقهم) فيحال بينه وبين إلافه، ويقيد إذا هاج فيرعى حول الدار، وإن صال جعل له لجام يمنعه من فتح فمه (١٣٦٤، ج١: ١٧).

وذكر الجاحظ أيضاً: أن العرب كانت تخصي فحولة الإبل لئلا يأكل بعضها بعضا، وتستبقي ما كان أجود ضراباً وأكثر نسلاً، وكل ما كان مئناثاً وكان شاباً ولم يكن مذكارا. وهم يسمون الإذكار، (إذا كانت النياق تضع ذكورا) المحق الخفي، وما كان منها (عَيَاياءَ) طباقاءَ فمنها ما يجعل السدم المعنى. وإذا كان الفحل لا يُتْخذ للضراب شدوا ثيله (عضوه التناسلي) شداً شديداً، وتركوه يهدر ويقبقب في الهجمة ولا يصل إليهن وإن أردنه. فإذا طلبن الفحل جيء لهن بفحل آخر مرغوب فيه (١٣٦٤، ج١: ١٣١).

وورد في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي عن فحول الإبل وأوصافها قوله:

إذا كان الفحل يودع ويعفى عن الركوب والعمل ويقتصر به على الفحلة فهو مُصعب ومُقرم وفنيق، فإذا كان مختاراً من الإبل لقرع النوق فهو قريع، فإذا كان هائجاً فهو قطيم، فإذا كان سريع الإلقاح فهو قبس وقبيس، فإذا كان لا يضرب ولا يلقح فهو عياياء، فإذا كان يضرب ولا يلقح قيل: فحل غُسلة،

فإذا كان عظيم الثيل فهو أثيل، فإذا كان يعتمل ويحمل عليه فهو صعود ورحول ودرواس، فإذا كان عظيماً فهو عدبسٌ ولكالك، فإذا كان قليل اللحم فهو مقدر ولاحق، فإذا كان غير مروض فهو قضيب، فإذا كان مذللا فهو مُنوق ومُعبد ومُخيس ومُديث (١٣٥٧: ٢٤٧).

وجاء عن الفحل في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري أنّ أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون إنه ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه؛ إذ يسوء خلقه، ويظهر زبده ورغاؤه، فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حَمل، ويقلُّ أكله، ويخرج الشقشقة وهي الجلدة الحمراء التي يخرجها من جوفه وينفخ فيها فتظهر من شدقه لا يعرف ما هي، وقيل لا تكون إلا لجمل عربي.

وقد قالت العرب في أمثالها «شقشقة هدرت ثم قرت» والشقشقة تركيب بالوني الشكل يشبه الرئة في اللون يخرجه البعير الفحل من فمه إذا هاج، وإذا قالت العرب للخطيب «ذو شقشقة» فإنما شبهوه بالفحل من الإبل. ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب # خطبة تُعرف بالشقشقية، لأن ابن عباس # قال له حين قطع كلامه «يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالتك من حيث أفضيت (توقفت)، فقال أمير المؤمنين علي #: هيهات يابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قَرَّت» (الميداني ١٩٧٣، ج٣: ١٧٠).

وقالت العرب أيضاً في أمثالها «أشأم من قاشر» وقاشر فحل لبني عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان لقوم إبل تُذْكِرُ (تلد الذكور) فاستطرقوه (طلبوه للفحلة) رجاء أن يؤنِّث إبلهم (يلقحها عسى أن تلد إناثاً) فماتت الأمهات والنسل. وتقول العرب أيضاً «بذخ البعير» ومعنى ذلك إذا اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء، وترى العرب أن الإبل تتحامى أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها وقالوا أيضاً: البعير إذا صعب وكان خطراً وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك ويعقل، ثم يركبه فحل آخر فيذل ويسكن. وذكر العرب أيضاً أن الفحل إذا أخذ شعر ذنبه ذل» (عيون الأخبار ج٢: ٧٥).

وأورد شكر في كتابه الحيوان في الأدب العربي أنهم يقولون: أثر الفحل الناقة أثراً، ووثرها وثراً: ضربها المرة بعد المرة. وبهت الفحل: نحي عن الناقة ليحمل عليها أكرم منه. وتجثم البعير الناقة: برك عليها ليضربها. والخُجأة من الإبل: الكثير الضراب. وخوَّد الفحل:

أرسله (أطلقه) في الإناث. والسنان والمسانة: المعارضة، يقال: سان البعير الناقة سناناً طويلاً حتى أناخها، والسنان هو ركض الفحل خلف الناقة للحاق بها. وشفر الفحل شفراً: ضرب برأسه تحت الناقة من قبل ضرعها فيرفعها فيصرعها (يبركها). والمشوف: الجمل الهائج، والمطلي بالقطران. والصائل من الجمال: الذي يخبط برجله وتسمع لجوفه دوياً من عزة نفسه عند الهياج، وهو الذي يواثب راعيه ويواثب الناس فيأكلهم. والطباقاء: الفحل العاجز عن الضراب، وطرق الفحل يطرق طرقاً: نزا على الناقة. والطاط والطائط والطوط: الفحل الهائج. والاعتراس: أن يقفز الفحل على رقبة الناقة حتى يركبها ساخطة أو راضية. والعجيس والعجيساء والعجاساء: الفحل العاجز عن الضراب. والعسب: كِراء ضراب الفحل (ماء الفحل)، يقال: قطع الله عَسْبه وعُسبه أي: ماءه ونسله. والعلكة: شقشقة البعير عند الهدير. والعياياء والعيا: الفحل الذي لا يضرب. وفحل غِسل، وغُسل، وغَسيل، وغُسلة: يكثر الضراب ولا يلقح. وتغمد الفحل الناقة: علاها (ركبها). وقعا الفحل على الناقة: علاها للضراب. وأُكْسل الفحل وكسل: ضعف عن الضراب. وتنوخ الجمل الناقة: أبركها وبرك عليها للضراب. واهتقع الفحل الناقة: أبركها. وتوسن الفحل الناقة: علاها (١٩٨٥، ج١: ٢٢).

أما ما ورد عن الفحل في الشعر العربي فكثير منه قول الأخطل:

إذا ما بدا بالغيب منها عصابة
أوين له مشي النساء اللواغب
يطفن بزياف كأن هديره
إذا جاوز الحيزوم ترجيع قاصب

يقول إن النياق في مرعاهن يطفن حول الفحل الزياف المتبختر المتعاظم في سيره، مطلقاً دويَّ صوته من الزهو كالقاصب الذي ينفخ بالقصب للترنم بصوته، وقيل: القاصب الرعد، والترجيع صداه. وقد شبه الشاعر النياق في هذه الحالة بالنساء المتعبات (اللواغب). ويقول الأخطل أيضًا:

هدير المعنَّى ألقح الشول غيره
فظل يلوِّي رأسه بقتاد

والمُعَنَّى هو الفحل المحبوس والممنوع عن ضراب النوق، والشول هي النوق التي نقصت ألبانها وأبعد عنها وليدها والتي يرسل الفحل فيها ليلقحها. وهنا يقارن الشاعر الشخص الذي يريد قتال أعدائه ولكنه عاجز عن ذلك، بالفحل

الذي يريد النوق لينزو عليها ولكنه محبوس عنها، وقد ألقحها فحل غيره فظل يدعك رأسه بالقتاد من شدة القهر. ويقول أيضاً:

يبيت يسوف الخور وهي رواكد
كما ساف أبكار الهجان فنيق

يقول عن خصمه إنه ينفق أيامه في مواقعة النساء المريبات (الخور) يقبل عليهن وهن مضطجعات، إقبال فحل الإبل على النياق الأبكار الكريمة. ويقول مالك بن العجلان الخزرجي:

يمشون في البَيْض والدروع كما
تمشي جمال مصاعب قطف

هنا يشّبه الشاعر سير الرجال في لباسهم الحربي بمشي الجمال المصاعب، وهي الفحول التي لم تركب ولم يمسها حبل حتى صارت صعبة القياد وهي تمشي قُطُفاً أي ببطء متبختـرة. أما ذو الرمة فيقول:

وإن لم يزل يستسمع العام حوله
ندى صوت مقروع عن العذف عاذب

يقول الشاعر: مما حنى ظهر هذا الفحل وأضمره وجعله يتمنع عن الأكل، رافعاً رأسه، وهو استماعه لصوت الفحل الآخر المختار للفحلة والذي يأتي صوته من بعيد يكاد لا يسمعه (ندى). وقال ذو الرمة أيضاً:

شفنا إلى مسترحل الضمور
هيق الهباب سحبل الجفور

والجفور: هو ذهاب حالة الهيجان عن الفحل وتقول البادية: فدر الجمل، وجمل فادر، ومفدور. والسحبل: الضخم. يقول الشاعر: إذا جفر الجمل وذهبت غلمته سمن وعظمت خلقته. وتقول العرب: جفر البعير (جافر) إذا ذهبت غلمته أي هيجانه وكبر كرشه، والجفور: عظم الكرش، فالبعير إذا هاج ضمرت كرشه وإذا فدر عظمت كرشه. ويقول ذو الرمة أيضاً:

وعارضن مياس الخلاء كأنما
يطفن إذا رجعنه حول مجدل
كأن على أنسائهن فريقة
إذا ارتعن من ترجيع آدم سحبل
بأصفر وَرْدٍ آلَ حتى كأنما
يسوف به البالي عصارة خردل

يقول الشاعر: إن النوق عارضن الفحل الذي يسير متبختراً منفرداً ويطفن حوله وهو كالمجدل (القصر). ومن خوف هذه النوق من الفحل وهديره، فكأن على عروق أفخاذها فريقة، وهي تمر وحلبة يطبخان، وهذا الفحل أبيض ضخم يهدر. وهنا شبه الشاعر أبوال النياق على أفخاذها بالفريقة لأنها قد احمرت واصفرت والفحل يشمها

(يسوف به) كـأنه يشم عصارة خردل. فهو يشمخ بأنفه عند الشم ليختبرها هل هي لاقح أم غير لاقح. ويقول ذو الرمة:

كأن ارتحال الركب يرمي برحلها
على بازل قرم جلال علاكم
طوى البطن عافي الظهر أقصى صريفه
عن الشول شذان البكار العوارم
إذا شم أنف البرد ألحق بطنه
مراس الأوابي وامتحان الكواتم

يقول الشاعر مشبهاً ارتحال الركب ومعهم فحل كريم ضخم دخل في السنة التاسعة من عمره، ضامر بسبب الهياج، ليس به أثر دبر، لأسنانه صوت إذا حك بعضها ببعض مما جعل البكار تنفرد وتشذ وتهرب عن الركب كأن بها عراماً، وهو النشاط والجهالة عند سماع صوت الفحل. وإذا جاء أول البرد ضمر هذا الفحل حيث يقوم باختبار وامتحان النوق هل حملت وإلا رد عليها الضراب. وقال ذو الرمة أيضاً في وصف كامل وبليغ لفحل الإبل:

خدبّ الشوى لم يغْذ في آل مخلف
أن اخضر أو أن زم بالأنف بازله
عريض بساط المسح من صهواته
نبيل العسيب أصهب الهلب ذابله
غميم النسا إلا على عظم ساقه
مشرف أطراف القرا متحامله
يمد حبال الأخدعين بسرطم
يقارب منه تارة ويطاوله
ورأس كقبر القوم من قوم تبع
غلاظ أعاليه سهول أسافله
كأن من الديباج جلدة رأسه
إذا أسفرت أغباش ليل يطاوله
رخيم الرغاء شدقم متقارب
جُلال إذا انضمت إليه أياطله
بعيد مساف الخطو غوج شمردل
تقطع أنفاس المطي تلاتله
خروج من الخرج البعيد نياطه
وفي الشول نامي خبطه الطرق ناحله
إذا انتحبت منه المتالي تشابهت
على العود إلا بالأنوف سلائله
قريع المهارى ذات حين وتارة
تعسف أجواز الفلاة مناقله

يقول أول ما يبدو بازل هذا الجمل الفحل تراه أخضر فإذا أسن أصفر. وهذا الفحل عريض الظهر (عريض بساط المسح: كساء يوضع على ظهر البعير)، وعظم ذنبه مسترسل ولونه تخالطه حمرة، وقد غمه اللحم إلى عظم ساقيه، وعرق النسا واضح مستبين على عظم ساقيه وتمتد عروقه الطويلة، ورأسه يشبه قبر إنسان من قوم تبع في طوله، وهو أسجح الخدين، وجلدة رأسه كأنها من الديباج. ويضيف في وصف الفحل إنه

رخيم الرغاء، واسع الشدق، طويل عظيم إذا انضمت إليه خواصره، خطواته متباعدة يخيف ويرعب المطي باهتزازه، وهو نحيل بسبب غشيانه للنوق المهيئة لذلك (الشول)، وعندما تلد النياق منه وتتبعها أولادها حديثة الولادة (العوذ) فإن ألوانها متشابهة وشكلها واحد لا تفرق بينها إلا بالشم وذلك لأصالة هذا الفحل. وخاتمة القول في قول الشاعر عن الفحل إنه حيناً يكون قريعاً للمهارى من النوق وتارة يكون هائماً على وجهه في الفلاة.

أما أبو الطيب المتنبي فيشبه أعداءه وطغيانهم بهدير فحول تهادرت، فأرسل لها قوم فأخافوها وتركوها مهلبة الأذناب أي: منزوعة هلب الذيل، فسكتت وهدأت وهربت من بين يديه بعدما انكمشت شقاشقها حيث قال:

وكان هديرا من فحول تركتها
مهلبة الأذناب خرس الشقاشق

العشار والولادة والإرضاع

يذكر الشراري في كتابه الإبل أن من علامات رغبة الناقة في الفحل أن ينتفخ حياؤها، خاصة البكرة، وتسمى مهدل، مع ظهور رائحة ولزوجة مخاطية وذلك عند اشتداد الضبعة (الشبق) ويقال لها عند البادية في الشمال: المير (المسهله)، أما في الجنوب فيقولون مهدل، وتهدل الناقة خاصة إذا كانت بكراً. وقد تقترب إلى الفحل وتبحث عنه ولذلك يقال «طاحت تحت أنحر الزمل»، وإذا لم يكن معها فحل تذهب إلى فحل رعية أخرى. ويستمر الشبق عند الناقة من أسبوع إلى أسبوعين، قد يزيد أو ينقص.

يكون ضراب الإبل في الشتاء أي في المربعانية، وإذا هد الفحل على الناقة في المربعانية يبين عشارها بعد أسبوعين وفي غير المربعانية يبين عشارها بعد سبعة أيام. وإشارات عشارها أنها لا تكون مثل الناقة الحايل في صفتها؛ فهي تختلف في مشيتها وتحمر عيناها وترفع رأسها وذنبها وتفحج (تباعد بين أرجلها) في مشيتها وهذا ما يسمى باللمع حيث يعلم أنها لاقح، وتقول البادية أبرقت أو بشّرت ويقال في المثل «عينها عين معشّر» كما يقال «رافع راسه كأنه راس معشّر». يقول ابن سبيّل:

لى تلّها الراكب غدا الحبل ثنوين
مثل المعشّر راسها عند ثوبه

تعرف الناقة المعشر بأنها تشوّل بذيلها عندما يقترب منها الإنسان، وإذا اقترب منها الفحل رفعت ذيلها ورأسها وفحجت ما بين رجليها وتبولت، حيث تفرز مادة أو رائحة يشمها الفحل في البول فيعرف

ناقة مشوّل (معشر)

أنها قد عشرت فلا يقربها مرة أخرى. فإذا رغبت البادية في التأكد من عشار الناقة قربتها من الفحل فإن اقتربت منه دون أن ترغو وتجنبها الفحل فإنها لاقحة، وأما إذا اقتربت ورغت ولم يتجنبها الفحل فإنها تكون غير معشر، وإنما تفعل ذلك خوفاً من الفحل ومخادعة له. وهي لا تفرز الرائحة التي تفرزها المعشّر في بولها.

والناقة المعشر إذا سمعت صوت الفحل شالت أو شوّلت بذنبها أي رفعته، وبالت بولا أصفر بصفرة غامقة وداكنا أحيانا. أما إذا كانت الناقة حائلا ولم تُلقح بعد الضراب فإنه ينكسر ذنبها، وتبول كالمعتاد، وتألف الفحل وتحاده وتبرك قربه.

وصفات المعشر من الإبل أنها عندما يهدر الفحل في وسط الإبل تبتعد عن الإبل حتى ولو أنها ألفتها، وحتى الإنسان تبتعد عنه، وتطرد ولدها، وتغرز، أي يقل لبنها ويصبح طعمه مالحاً، ويتغير شكل بولها فيضرب إلى الصفرة. ومن النياق ما تكون كالمعشر في بعض الصفات لمرض كالوذم، لذلك يعرضون الناقة على الفحل يختبرها أحائل هي أم لاقح، فتظهر من الصفات السابقة ما يعرف منه إن كانت لاقحاً أم لا (١٤١٢: ٢٢٤).

وعن لقاح الإبل وعشار الخلفات يقول الشراري إن اللقاح الذي تعشر منه الخلفة يسمى كشافاً، فإذا عشرت الناقة الخلفة يسمون حوارها كشافاً في الشمال، أما في نجد والجنوب فيقولون أكساب، فناقة كسوب، أي ألقحوها وهي خلفة وولدها يسمى كساباً أو ولد كسوب. وأيام

الولادة يحرصون عليها من الزمل (الذكور)، فإذا ضربها الفحل بعد الولادة تُلقح. والخلفة يمكن أن تعشر بعد حوالي الأسبوعين من ولادتها، وقد يضربها الفحل غصبا وبدون رغبة منها. ويكون حوار الكشاف أضعف جسما لقلة اللبن، ولجفاف ضرع الناقة في الأشهر الأولى بعد الولادة، لذلك يكرهون الكشاف. ولمنع الحمل يجرون عملية يسمونها الجرف أو النزف أي إسقاط الجنين في بداية اللقاح وفي الأشهر الأولى من لقاح الناقة. وقد يستعمل الجرف (الإجهاض) للناقة التي يخشى عليها الجدب في العام المقبل وليس عشارها كشافاً، وما يزال عشار الكشاف معروفا إلى اليوم باسمه. ومن المأثورات في ذلك قولهم «قالوا: البل كثرت، قال: انزف الكشاف. وقالوا: البل قلت، قال: اضرب الحقه) (١٤١٢: ٢٢٦).

وجاء في كتاب الإبل للشراري أيضاً أن توالد الإبل يحدث في فصل الشتاء من كل سنة من بداية الفصل وحتى نهايته، ويستغرق عشار الناقة حتى ولادتها اثني عشر شهرا، وتسمى الناقة في تلك الفترة لقحه وجمعها لقاح، ومن الحداء قولهم:

بارق يازيد لاح
على الشهيبا ام اللقاح

ويقال لضرع الناقة مربي إذا كانت لقحة، وإذا قربت ولادتها تنزل درتها وتسمى في بادية الشمال موطي (الخلف نازل) أو (خافق). ومعنى خافق أن جلد صلائها أي ذنبها ما بين زر الورك يرتخي (يتهفت) مع المشي. أما في الجنوب ونجد فيقولون حفلت الناقه إذا قرب موعد ولادتها. كما يسمونها مخورمْ.

ويحرص رجال البادية على اللقحة الموشكة على الولادة (المخاض) أن لا تبتعد؛ خشية أن تتبعها الإبل وتلد وهي بعيدة عن النزل. ومن علامات قرب الولادة أن الناقة تقف ولا ترعى، وتنزع عن الإبل (تبتعد)، ويظهر من الناقة

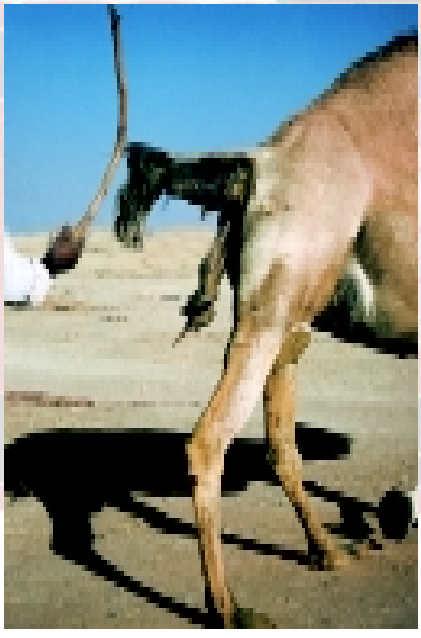

بدء خروج الحوار

الراعي يساعد الناقة لإخراج الحوار

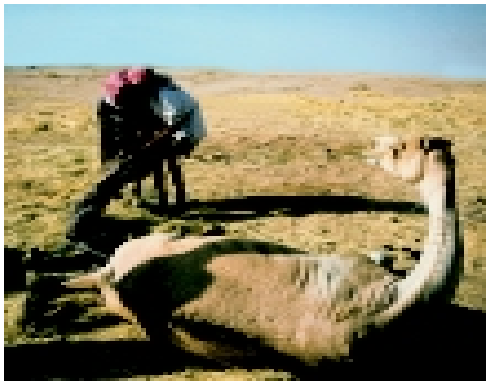

الرعاة يسحبون الحوار عقب ولادته

سبايا وإفرازات، وهذا دليل على قرب الولادة ويقال للناقة في حالة الولادة داحم، وتسمى الناقة التي تترك الإبل عند الولادة: النازع أو الماخض، والنزائع من الإبل الغرائب، وإذا أسقطت الناقة (أجهضت) وهي حامل في ستة أشهر فإن الحوار الساقط يكون من غير وبر ويقال له رمي صِعاد، وإذا أسقطت على ثمانية أشهر يكون وبر الحوار نابتاً ويقال له عجال، ويكون ذلك من مرض أو لكثرة الشحم أو لإجهاد أو لعطش.

والإفرازات التي تفرزها الناقة قبل الولادة وأثناءها تسمى فقاه، أما السلى، وهو الخلب (الغشاء) الرقيق الذي يحيط بالحوار فيخرج بعد خروج الحوار من بطن أمه وقد يتأخر لمدة ساعة ويسمونه بالدلو، وهو جزء من السَّلى فيه ماء، ويسمى حويلاء الحوار، ولذلك توصف الخبراء (المزاده) بدلو الناقة للونها الأصفر إذا كان فيها بقية من ماء يخالطه بول الإبل، ودلو الناقة (الحويلاء) هو وعاء الحوار وهو بمثابة المشيمة للجنين. وعند ولادة الحوار فإن أول ما يظهر يداه ورأسه، ثم تخرج بقية جسمه ويكون محاطاً بالسَّلى ثم تخرج الحويلاء، وإذا سحبوا الحوار بعد الولادة ورأمته أمه يحرصون عليها حتى لا تنزلق بالسَّلى لأنه مُزَحْلِق، فعند خروجه

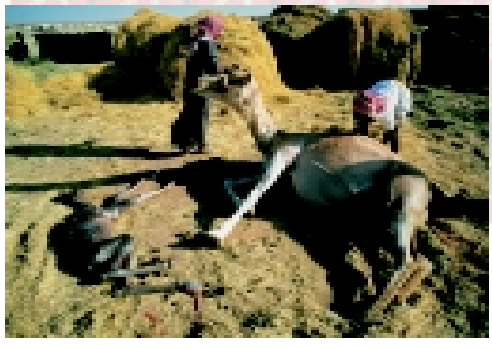

يوضع الحوار بالقرب من أمه عقب ولادته مباشرة

يفضخونه (يفجرونه) احتياطا حتى لا تتزحلق به.

ويتراوح وزن الحوار حديث الولادة ما بين ٢٦ إلى ٥٢كجم تقريباً. ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى. ويتراوح طول الحوار من أعلى السنام حتى الأرض ما بين ١١٨ إلى ١٢٣ سم. والوزن والحجم يتوقفان على الفحل والأم ومواصفاتهما.

ويحاول الحوار حديث الولادة الوقوف على قوائمه بعد وقت قصير من ولادته ولكنه لا يستطيع ذلك. ويعيد المحاولة من جديد بعد فترة أخرى، ولكن بسلوك آخر حيث يرفع مؤخرته عدة مرات، ويستريح على مفاصل الرسغ، ولكنه لا يستطيع النهوض أيضا. وفي المحاولة الثالثة يقف لأول مرة، وذلك بوضع إحدى رجليه على الأرض، ولكنه لا يلبث أن يسقط بعد ثوان. وتشم الأم صغيرها في كل مرة يحاول فيها النهوض من فترة لأخرى، وكأنها تحاول مساعدته و تشجيعه أو إرشاده وبث الثقة في نفسه. وبعد مضي فترة قصيرة أخرى ينجح الحوار في الوقوف، وحفظ توازن جسمه بنفسه، حيث يبعد رجليه الخلفيتين عن بعضهما. وهكذا فإن الحوار يقضي نحو أربع ساعات تقريباً من لحظة مولده قبل استطاعته الوقوف على قوائمه لمدة دقيقتين وقد تستغرق المحاولة يوماً كاملاً. ويمكن للحوار أن يسير لأول مرة بخطى غير منتظمة بعد ميلاده بوقت قصير، ولكنه يفقد اتزانه أثناء المشي. ثم يحافظ على اتزانه، خلال اليوم الأول لميلاده، ولكنه في اليوم التالي يصبح قادراً على العدو.

ويحرص رعاة الإبل عادة على سرعة معرفة جنس الحوار عند الولادة أذكر أم

الحوار يحاول النهوض عقب الولادة

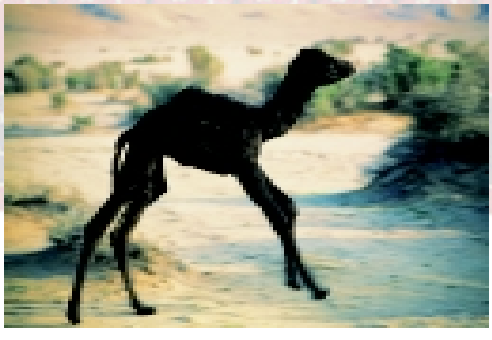

حوار يركض بعد يوم من ولادته

أنثى بسبب أنهم سيقررون هل يرغبون جمع الحوار مع أمه أم لا. هذا الكشف تقوم به البادية لمعرفة إنتاج إبلهم. وتسمى الناقة التي تحلب دون حوار المسوح أو المري. فإذا كان نتاجها قعوداً ولم يكن يحمل مؤشرات جيدة تعرفها البادية، فإنهم ينحرون المولود، ويحلبون أمه لأهل الدار وتسمى الناقة في هذه الحالة المجمّعه كما يقال لها أيضاً دحور إذا كانت كثيرة اللبن. وإذا كانت الناقة بكرا أي إنها تلد لأول مرة فإنهم يلاحظونها خشية أن لا ترأم حوارها؛ ولهذا السبب فإنها لا تدر لبنها. ويذكر الشراري أن الناقة البكر التي تلد لأول مرة قد تنفر من ولدها ولذلك يقال: الناقه نفرت ولدها، أي كرهته، وهو «حوار نفر» إذا ولدته أمه وتركته ولحقت بالإبل ولم تدر عليه اللبن، لذلك يرجعونها إلى حوارها ويظئرونها عليه. إضافة لذلك فإنهم يخشون على الحوار من أن يخنقه السلا ويمنع تنفسه؛ لذا فهم يزيلونه بسرعة وينظفون الحوار. ويجتنب الرعاة ما يطلقون عليه «مردغة الحوار»، وهي كثرة لمسه وتحريكه عند تنظيفه حتى لا تنفر منه أمه وتتغير رائحته عليها. فإذا كانت الناقة بكرة، وهذا الحوار أول نتاج لها، ورأوا علامات النفور عليها، فإنهم يحاولون التخيل عليها بلبس جاعد والاقتراب من الحوار وكأنّ ذئباً يريد أن يفترسه. فتحاول الأم، بغريزتها، حمايته. ويكررون ذلك المشهد عدة مرات حتى يتأكدوا من أنها رأمته وحدبت عليه.

والرعاة يهتمون بإرضاع الحوار عند ولادته مباشرة، ويسمون أول الحليب اللباة أو الصمغة أو السويداء. ويقولون إذا رضع الحوار الصمغة وامتلأ بطنه «مِجَر الحوار أمه» أي رضع جميع لبنها. ويعتقدون أن في هذه الرضعة فائدة وقوة يكتسبها الحوار من الصمغة هذه. وفي الغالب فإن الحوار يلحق بأمه إلى المرعى في اليوم التالي. وفي هذه الحالة يقولون: الحوار درج وجدل، إذا قوي في مشيته. ويسمون الصبي الذي يقوم برعي الإبل الملحاق، لذلك إذا رزق البدوي ولداً بشروه قائلين «أبشر بملحاق» أي صبي

حوار يرضع أمه

يلحق بالإبل؛ وإذا رزق بنتاً بشروه قائلين «أبشر براعية غنم». وعندما يبرز سنام الحوار ويطول وبره يقولون: فتق أو صقع سنام الحوار وصبت (طالت) وبرته، وذلك بعد أشهر معينة من الرضاع والرعي في الخصب. وإذا كان الحوار من نتاج الصيف قالوا عنه: صيفي وأمه «ناقة مصيف». وإذا تأخر النتاج قالوا عنه: تلوي، والناقة المتلي، وهي التي تأخرت عن النياق في الولادة.

أما إذا كان الحوار من نتاج الشتاء فيقولون عنه: حوار بدري وحيران بدارا، ويصفونها بأنها أقوى من الحيران المولودة في الصيف بسبب طول الفترة التي تقضيها في الرضاع والرعي (السويداء ١٤١٢، ج٢: ٧٨٣).

وإذا أرادوا المحافظة على زينة الناقة وحسنها وجمالها وسمنتها أو أرادوا الاستفادة من حليبها لأنفسهم قاموا بصرّها حتى لا يرضعها الحوار.

ويمنع الرعاة الحوار من رضاعة أمه بعدة طرق؛ منها الأصرة: وهي التي تشد بالخيط على أخلافها (ديودها) وتسمى التودية وجمعها التوادي وهي تعمل من خشب وتعرَّض. وصر الناقة يعني شد أخلافها وربطها بالتوادي وفي أمثالهم «يصر ويبهل».

وإذا ربط الصرار على الخلف بشدة فقد يضر ذلك بالخلف ويسبب عيابه أو تلفه. وإذا عض الحوار الصرار حتى يضر بأخلاف أمه قيل: مجذذة الأخلاف، وإذا أثر بها بدون قطع قيل: قرص مواخيرها، وإذا تركت الإبل بدون صرار أو شمله فهي مبهله أو هجل.

وإذا كان الحوار يمضغ (يعلج، يعلك) صرار ثدي أمه حتى يفرط (ينحل) صرارها ليرضعها قيل له بهول، وربما يمنعونه عن ذلك بعدة طرق منها:

الخلال: ويوضع للحوار الذي يحل فطامه، فإذا وضع الخلال بأنفه وأراد الرضاع فإن الخلال يؤذي أنفه وعند ذلك يذهب للرعي. ولكن بعض الحيران تتغلب على الخلال بمحاولات عدة ولكن بصعوبة وبطء. والخلال عود يذرب وتوضع له درة أسفل خشم الحوار والجزء المذروب (المبري) إلى أعلى. ويؤثر الخلال على الحوار أثناء معاركته للإبل عند الماء مما قد يحدث خروج بعض الدماء من أنفه، والخلال أشد ضرراً من اللزقة، ومنه سمي الفصيل المخلول. ويترك الخلال في الفصيل حتى تطرده أمه ولا تتركه يرضعها وذلك بسبب عشارها.

اللزقة: وتعمل اللزقة للحوار البهول الذي يراد تعزيته (منعه) عن أمه. واللزقة عود يذرب ويكون له درة كدرة المغزل، ويوضع أسفله كالخابور ويجعل في لسانه خرق وتترك أمه هجلا أي بدون شمالة أو صرار، وتعمل هذه اللزقة للحوار البهول الذي لا تنفع معه شِمالة أو صرار حيث يفرطه (يحله) ولا تمنع اللزقة عن الرعي.

الشمالة: تصنع الشمالة من وبر الإبل وذلك لمنع رضاع الفصيل أمه إلا في أوقات معينة كالصباح والمساء. وفي المثل من أوصاف الإبل «مْعَبّسات الشمايل».

وذكر الحبردي أن الإبل التي تقتنى من أجل اللبن لها صفات خاصة، منها أن يكون لها ثدي كبير ولها دحاليل (أخلاف) ضخمة طويلة نوعا ما، والدحاليل هي نهايات الأثداء التي يصرها الراعي بالتوادي.

ويقول السويداء الدحلول خِلْفُ الناقة تجمع على دحاليل، قال الشاعر:

ما نوّخت بالمجر معيد
ولا مص دحلولها الحاشي

والتوادي (مفردها توداة): عود من الخشب بطول ١٠ سم وعرض ٢,٥ سم تقريبا يربط بطرفها خيط من الوبر اللين ويسمى الصرار ويستخدمونه عوضا عن الشمله. وتتخذ التوادي عادة من خشب العشر لخفته ونعومته.

وفي التاج «أمّا التّوادي فواحدتها تُودية، وهي الخشبات التي تشدّ على أخلاف النّاقة إذا صُرّت لئلا يرضعها الفصيل؛ قال جرير:

إذا هبطت جوّ المراغ وعرّسَتْ
طروقا وأطراف التّوادي كرُومُها»

ويعمل رعاة الإبل التوادي بأنفسهم، يختارونها من الأعواد المناسبة، ويغزلون رباطها حبلاً مناسباً من وبر الإبل. ومجموع التوادي والحبل الذي تحزم به يُسمّى الصّرار؛ قال عبدالله بن سبيّل:

بيض المحاقب والغوارب مشيبات
للتلو ما سووا لهن التوادي

وقالت شاعرة مطيرية:

وحمدان عيد مقرعات التوادي
كنه اشهب البارود عجل مثاره

وقال غانم اللميع الدهمشي العنزي:

مدهل الفطر عريضات التوادي
يرتعن به وابو من يزعل لعينا

وقال مسعود بن سعد المشيبين العضياني:

وسال الشعيب اللي تهاواه الاجناد
وتهايقت له مقرعات التوادي

وقال الشيخ ضهيبان بن وردة الشراري:

غرتك عزباتٍ أهلهن مغيرين
بلا كون جبت مقرقعات التوادي

وربما اتخذوا أصرة جاهزة هي خيوط من الوبر تستعمل لصر الناقة، يسمونها الكمش.

وعندما يرغب الراعي في صر الإبل يأخذ من الدمن الرطب ويضعه فوق الشطر (الثدي) الذي يريد أن يصره كي لا يتأثر الثدي من الصرار، ومن ثم يلف الخيط عليه وعلى قطعة الخشب بلطف وذلك لمنع الحوار من رضع أمه، ويفضل أن يكون الخيط من الحرير حتى لا يجرح الشطر.

أما إذا استحسنوا تغطية الضرع فإنهم يستخدمون الشمالة وهي كيس من خيوط الوبر المنسوجة نسجاً خفيفاً، أي غير مدكوك، يلف على ضرع الناقة الحلوب، ويشدّ بحبال ونسع جميلة من الصّوف تعلو ظهرها وتمتد حول نحرها.

وغرض الشماله منع الفصيل من الرضاع بصفة دائمة. وما يحيط بالديد منها يسمى الصحن ويشّد على ديد الناقة بالجنايب التي تكون على جانبي المطية. وما وصل بين الجنيبتين يسمى الغارب وهو الأمامي، أما ما أتى خلف السنام فيسمى الظهيره، وما أحاط برقبة الناقة يسمى اللبب، وتربط الجنايب في الشِّمالة بالشكال والثفر الذي يمتد من الظهيرة إلى الشِّمالة ماراً بظهر الناقة وذيلها، وتسمّى النّسع التي تشدّ بها جنايب جمع جنيبة، وقد يكون ذلك مأخوذاً من امتدادها بجانب سنام النّاقة يمنة ويسرة، وهي ما يمسك الشمالة على الناقة، ومن الحداء قولهم:

وضحاً بين جنايب
خزاً يدم الحرايب

وتستعمل الشمالة بدلاً من الصّرار لأنها أريح للناقة وأسلم لأخلافها، غير

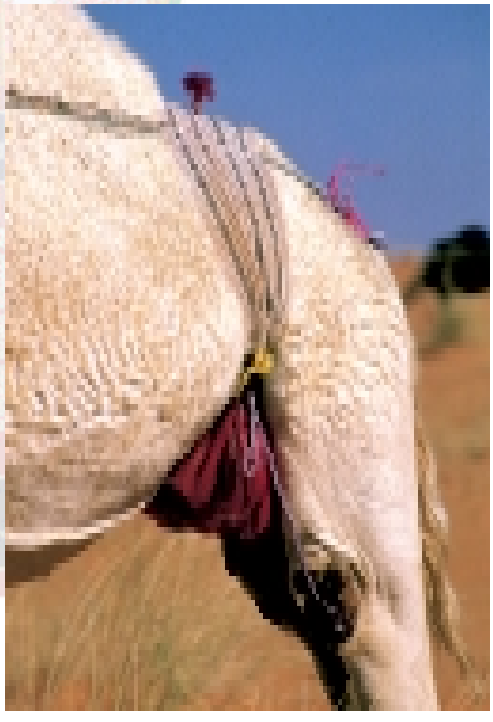

الشمالة

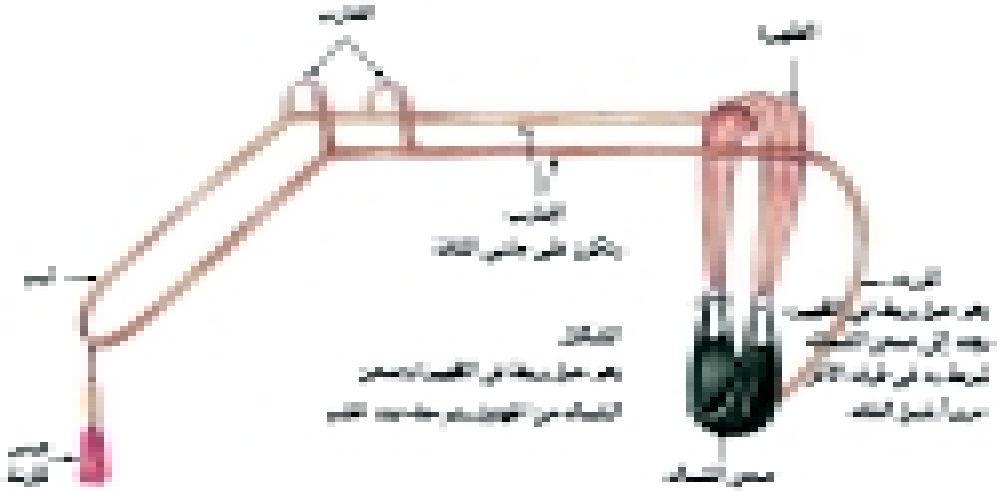

الشمالة

أن لها مخـاطرها أيضا لو أهمـلت من الغسـل، فإنه يجتـمع فيها مـن العرق ورطوبة الحليب والأبوال ما يجعلها صلبة خشـنة وعنـدئذ تـسبب ضـرراً خطراً لأخلاف الناقة؛ لذلـك فهي في حاجة إلى غسل بـين فترة وأخرى لتبقى لـينة رقيقة ونظيفة.

ناقة مشمّلة مع حوارها

والضيار (الظئار) هو إجبار ناقة قد لا يكون حوارها طيباً أو يكون قد مات، وبها حليب كثير، فيجبرونها على ريام حوار الناقة المكسبه. والريام هو أن تقوم الناقة بإرضاع الحوار دون معارضة وكأنه حوارها، وذلك بإيهامها بأنه لها. وتتم عملية التضيير بطريقتين:

الأولى: إذا كانت الناقة لقحة، وجاء وقت ولادتها يحضرون حوار الناقة الطيبة أو المراد إكسابها، ويخفون حوارها الذي يكون قد طلع للتو من بطنهـا ويضعون الحوار الآخر مكانه، مع أخذ بعض سلا

ظيار دبر

ظيار خشم

الحوار المولود ووضعه على الحوار المراد رأمه أو تضييرها عليه.

والطريقة الثانية: إذا كانت الناقة قد ولدت وأهلها بعيدون عنها، فإنهم يبركونها ثم يسدون فتحة الشرج وفتحتي الأنف، ويضعون الحوار المراد أن ترأمه أمامها مع قرنهما ببعض لمدة قد تصل إلى خمس أو ست ساعات، عند ذلك ترأمه الناقة وكأنه ولدها، ونادراً ما ترفض رأمه، ولكن بشرط أن يكون حوارها الذي ولدته إما ميتاً أو بعيداً عنها لا تراه، فإذا كانت تراه فلا يمكن أن ترأم (تروم) غيره، يقول الشاعر:

خلوجٍ تشوف حوارها ما تروم حوار
وهي في رجا الله غيدها كود ياتيها

ظيار خشم

والظئار أنواع وذكروا من أنواعه: المهمل والمخيط واللاحي والندوة، وهي أشهرها عندهم، وقالوا في صفتها: إنها رقعة توضع في حياء الناقة ويحزم عليها، فإذا أرادت الإخراج تمنع الخرقة الدمن من الخروج، فتبرك كأنها تلد، وعند ذلك ترزم (تحن) على حوارها فترأمه فتدر عليه فإذا رأمته بلج (انحل) عنها الحزام وأظهرت الندوة.

ويقوم أصحاب الإبل من رجال البادية بدحر الحيران، أي ذبحها، وذلك في سنين الجدب، حيث يخشون أن تؤثر الحيران على أمهاتها بسبب رضعها لها. ويسمون هذه العملية بالدحر أو

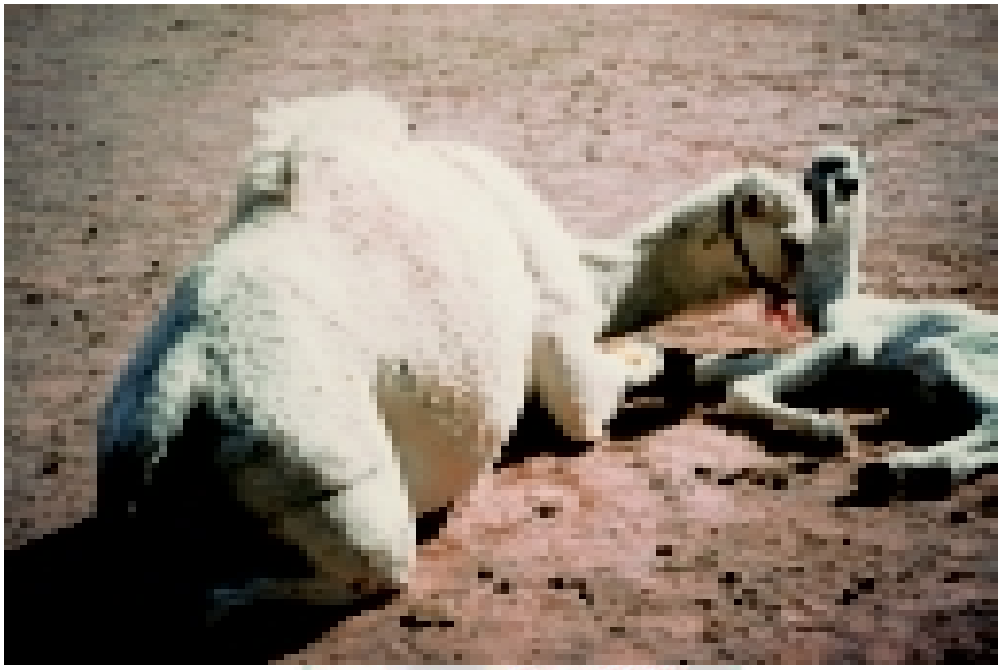

ناقة تروم حوارها

الجرار ويقال حوار مجرور إذا خشي راعي الإبل من سنين الجفاف فإنه يجعل كل ثلاث نياق أو ناقتين على حوار واحد يرضع منها، وذلك حتى يحلب لعائلته وضيوفه ولا تغرز عشائره. ويسمون الناقتين اللتين يرضع منهما حوار واحد ظيرين، والواحدة ظير وثلاث نياق يرضع منهن حوار واحد تسمى ثلاث أظيار، ولا يحدث ذلك عادة إلا في السنة الشديدة القحط (الهيماء)، وذلك رأفة بالإبل ومحافظة عليها. وربما يجرون حواراً عن أمه إذا كان لديهم حوار طيب وأرادوا تفحيله أو بكرة طيبة، أو كانت الأم كثيرة اللبن ويرغبون في الاستفادة من لبنها، ويسمونها في هذه الحالة المجمّعه.

والثلاث أظيار عندهم هي إذا ولدت الناقة الأولى تركوا حوارها، وإذا ولدت الناقة الثانية دحروا (ذبحوا) حوارها وأخذوا سباياه ووضعوها على حوار الناقة الأولى ووضعوه أمامها حتى ترأمه، فإذا ولدت الثالثة يقدمون لها نفس الحوار حتى ترأمه (الشراري ١٤١٢: ٢٣٠-٢٣١).

وقد جاء عند أبي سويلم: الظئر العاطفة على غير ولدها المرضعة له من

الإبل، وناقة ظـؤور لازمة للفصيـل أو البو، والظأر أن تعطف الـناقة والناقتان وأكثر من ذلك على فصيل واحد حتى ترأمه ولا أولاد لهـا وإنما يفعلون ذلك ليستدروها به.

وتمر الناقة من نـاحية التناسل بعدة مراحل هي:

المجسّـِر: وتسمى الناقة بذلك وقت الهياج قبل أن تُلقح وذلك عندما يكون لها رغبة في الفحل، وفترة الجسـار من أسبوع إلى أسبوعين وقد تزيد وتنقص، وعلامات ذلك أنها تـتقرب من الفحل وتبرك له وأحيانا يقوم الفحل بتبريكها. فإذا كانت بكرة ظهر جسارها في حيائها، حيث يـتضخم حـجمه وتقول الـبادية مهـدل. وإذا ذهب جسـار الناقـة قيل أقطت، وقد تبقى لفترة شهرٍ كامل دون جسار حتى تجسر مرة أخرى، خاصة إذا كان الجو حاراً.

المعشّـِر: وهي الناقة بعد أن يضربها الفحل حيـث تظهر عليها علامات تـدل على أنها بدأت باللقاح (الحمل)، وعلامة ذلك أنها ترفع أنفها وذيلها إلى أعلى دليلا على أنها لا ترغب في الفحل وأنها لقحت فينصرف عنها الفحل وتنعدم رغبته فيها.

اللقحة: إذا لقحت الناقة (حملت) تهدأ حركتها ويمتلئ بطنها وتسير بهدوء وكأنها تخـشى على ما في بطنـها من السقوط حتى تلد. وتسمى الناقة اللاقح معشرًا ما دام بطنها لم يكبر بعد، ولا يتبين كبر البطن إلاّ بعد حوالي شهرين من لقاحها. فإذا قربت ولادتها تسمى مقربًا، وإذا هلّ اليوم الذي ضربت فيه، أي أكملت سنة كاملة من يوم لقاحهـا قيل ممر أو ملاقي أو مزهوم. فيبدأ ديدها بالكبـر، وتقول البادية حـفلت، كما ينـخفـض ما عن يمـين عكرة الـذيل ويسارها وتسمى الناقة مخرقًا، ويحدث ذلك قبل أسـبوع تقريباً من ولادتهـا. فإذا تـعدت النـاقة يوم ضـرابها، أي جاوزت تمام السنة، ولم تلد قيل نقلت أو جرت.

الخلفة: وهذا الاسم يطلق على الناقة عندما تلد أي أنها خلفت (ولدت) حوارا ولمدة ستة أشهر حتـى تعود لشرب الماء وقت الصيف.

العشراء: عندما يـكبر حوار الخلفة ويأتي وقت المقياظ (الصـيف) يقال لها عشراء ولمدة سـتة أشهر أخرى فتجـسر ويطـرد عنها حـوارها ويسمـى مفرودًا (فصيل)، وتسميها العرب: الشول.

المسوح: وهي الناقة التي كلما أردت حلبها مسحت على ثديها فتدر، من دون حوار، وتسمى كذلك مري.

المجمّعه: هي أكثر الإبل لبنا تحلب للضيف ولأهل البيت فقط، ولا يحلبها الراعي لنفسه.

الخفـوت: وهي النـاقة التـي مات حوارها فحزنت عـليه وأخذت تحن ألما عليه وحزنا لفقده. ويعمل لها البو، وهو أن يحشى جلد الحوار بعد موته بالتبن أو الأعشـاب ويوضع علـى ظهر الـقعده (الرحول)، وعندما يراد حلب أمه يوضع البو أمامها فتشمه وتدر الحليب.

الخلوج: هي الناقة التي تخلج، أي تحن لفقد ولدها سواء كان ميتاً أو بعيداً عنها لا تراه.

البسوط (جمعها البسائط): وتسمى الحلوب (جمعها الحـلايب) وهي الناقة التي معها حوارها، أما إذا لم يكن لها حـوار فتـسمـى المحيـوشه (جـمعـها المحيوشات).

ويقـولون عـن رضاع الحوار لأمـه «مغج الفصيل أمه» أي لـهزها، و«مغد الفـصيـل أمه» أي لـهزهـا (لهـجهـا) ورضعها. ويقولون أيضاً «مـقا الفصيل أمه مقوا» رضعها رضعا شديدا، و«مك الفصيل ما في ضرع أمه» أي مص ما فيه من اللبن (السويداء ١٤١٢، ج٢: ٦٥٢)

وقال الثعالـبي في كتاب فقه اللغـة وأسرار العربية:

إذا بلغت النـاقة في حملها عشرة أشهر فهي عُشراء. ثم لايزال ذلك اسمها حتى بعد الولادة. أما عـند البادية فالعشـراء هي التي يكـون حوارها قد مضى على ولادته ستة أشهـر إلى أن يضـربها الـفحـل، وجمعـها (عشاير). فـإذا أضربها الفـحل قالـوا (معشر) وجـمعهـا (معاشير). فإذا كبر الجنين في بطنها وتبين للرائي حملها قالوا (لقحة)، وجمعها (لقاح). أما منذ ولادتهـا إلى أن يبلغ ولدها ستة أشهر فهي لدى الـبادية (خلـفة) وجمـعهـا (خلفات). فإذا كانت حديثة العهد بالنتاج فهي عائذ. فإذا مشى معها ولدها فهي مطفل. فإذا مات ولدها أو نحر فهي سلوب. فإن عطفـت على ولد غيرها فرئمته فهي رائم. فإن لم ترأمه ولكنها تشمه ولا تدر عليه فهي علوق وتسميهـا البادية: نافر أو نفور. فإن اشتد وجدها على ولدها فهي واله (١٣٥٧: ٢٤٧).

وورد في كتاب الحـيوان في الأدب العربي لشكر أن:

الأبية من النوق: التي ضربها الفحل ولم تُلقح وتسميها البادية (حايل)، والأصوص كذلك. ويقال: أبرقت

الناقة: أي شالت بذنبها من غير حمل، وهي مبرق وبروق. وأبسقت الناقة: إذا وقع اللبا في ثديها قبل النتاج فهي مبسق وبسوق. والثنو: الناقة التي تلد الولد الثاني. والجمع: الناقة التي في بطنها ولد. والجِهض، والجَهيض: السقط الذي تم خَلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش، وقيل: الذي لم يستبن خلقه وتقول البادية «فيخت أو كسرت» أي (أبرقت أو بشرت) بالعشار ثم فَسَدَ هذا العشار، ويكون ذلك في الشهرين الأولين عادة قبل أن يتخلق السقط، أما إذا استبان خلقه فهو صعاد، وإذا نبت وبره فهو عجال أو خداج. والحضون من النوق: التي ذهب أحد طُبْيَيْها. وربت الناقة وأربت: لزمت الفحل وأحبت المكان. وارتبعت الناقة وأربعت، وهي مربعة: أغلقت رحمها فلم تقبل ماء الفحل. وركضت الناقة: تحرك ولدها في بطنها. ورمدت الناقة: أرضعت وهي بكر. والزَعْلة: الناقة التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى. وأزلقت الناقة: ألقت حملها قبل أن يستبين خلقه. وأسقبت الناقة، وهي مسقاب: إذا كان أكثر ما تضع ذكورا. والمُشاحِذ من النوق: التي أخذها المخاض ولوت ذنبها وإنما تفعل ذلك لما يأخذها من الغم. والشرخ: نتاج كل سنة من أولاد الإبل. واستشار الفحل الناقة: إذا كرفها (شمها) ليتبين ألاقح هي أم حائل. وأشاعت الناقة ببولها: أرسلته متفرقاً. وتصلقت الناقة: تجضعت عند المخاض ظهراً لِبطن، فهي متصلقة. وضبعت (جسرت) الناقة ضِبْعا، وأضبعت: إذا أرادت الفحل، ونوق ضِباع، وضباعى. والمضامين: التي في أصلاب الفحول، والتي في بطون الحوامل، والعجنة والعجناء: الناقة التي ورم حياؤها ولا تلقح. والعسير (العدو أو المعدي): الناقة إذا لم تحمل في سنتها. والعُشَراء: الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر وجمعها عِشار، وعُشَراوات، أما عند البادية فهي التي مضى على ولادتها ٦ أشهر. والعائذ: الناقة عندما تضع حملها، جمعها عُوذ، وعُوذات. والفرع: أول ما ينتج من الإبل وطعام يُصنع عند نتاج الإبل. وفرقت الناقة: أخدجت، والمفرق:

الناقة التي فارقها ولدها بموت، أو ذبح (الخفوت). ونَسجت القلوص نسوجاً: أعجلها الفحل فضربها قبل بلوغ وقت الضِراب، فهي ناسجة. والقارح من النوق: أول ما تحمل والتي لا تشعر بلقاحها حتى يستبين حملها. وأقرت الناقة: ثبت حملها. والكتوم من النوق: هي التي لا تشول بذنبها عند اللقاح ولا يعلم بحملها. فإذا لقحت شالت. والكراض: حلق الرحم. والكشاف: أن تبقى الناقة سنتين، أو ثلاثاً لا يحمل عليها. والكشوف: الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل (كسوب). والكموت: الكتوم اللقاح. ومارنت الناقة مرانا: ضربت فلم تُلقح فهي ممارن. وألمعت الناقة: شالت بذنبها، وأعلمت بلقاحها. وملصت الناقة (نفرت): أنفت ولدها، والولد مليص والناقة مملص. والمنية والمنوة للبكر: هي التي تحتاج إلى عشر ليال حتى يستبين لقاحها، وإذا كانت ثنيا أو ثلثا فخمس عشرة ليلة، فإذا مضت المنية استبان حمل الناقة وتسميه البادية (قرو). وأمنحت الناقة: دنا نتاجها (وضعها) فهي ممنح (مقرب). وأنشأت الناقة: لقحت. وأنصعت الناقة للفحل: قَرَّت له. والمهشار: الناقة التي تُلقح في أول ضربة وتضع أول الإبل. والهكعة: الناقة التي استرخت من الضبعة وأربت، وتقول البادية (مقطت). والعبارة من النوق: التي لا تضرب مع الإبل، ولكن يقاد إليها الفحل وذلك لكرمها وعتقها (١٩٨٥، ج١: ٢٢).

وللعرب طائفة من الأمثال والأقوال عن طباع الناقة خلال فترتي العشار والولادة، من ذلك قولهم «حرك لها حوارها تحن» وقالت أيضاً «أحن من شارف» والشارف هي الناقة المسنة، وهي أشد حنيناً على ولدها من غيرها، ومن قولهم أيضاً «شر مرغوب إليه فصيل ريان» وذلك أن الناقة لا تكاد تدر إلا على ولدها، ومن أمثال العرب أيضاً قولهم «فصيل ذات الزبن لا يخيل» وذات الزبن: الناقة التي تزبن ولدها وحالبها، والتخيل: أن تكون الناقة لا ترأم ولدها (نافر)، فيقال لصاحبها خيِّل لها، وتقول البادية «يحدب لها»، فيلبس جلد سبع، ثم يمشي على يديه ورجليه، ويخيل للأم أنه ذئب، يريد أن يأكل ولدها فتعطف عليه وترأمه ويكون ذلك للتي تلد لأول مرة، أي

للبكر غالباً. ومعنى ذلك أن الناقة التي تزبن ولدها لا يخيل لها. وقالت العرب أيضاً «لا يعدم الحوار من أمه حنة» و«لا يضر الحوار ما وطئته أمه» وقالوا أيضاً «الناقة جن ضراسها» ويقال: ناقة ضروس إذا كانت سيئة الخلق بعد الولادة، وإذا كانت كذلك حامت ودافعت عن ولدها. ومن قول العرب أيضاً «أرغوا لها حوارها تقر» وأصل المثل أن الناقة إذا سمعت رغاء حوارها سكنت وهدأت.

ومن أمثالهم أيضاً «راءمت له بوضيم» وأصله أن الناقة إذا ألقت سقطها (أجهضت) وخاف أهلها انقطاع لبنها أخذوا جلد حوارها، فحشوه ولطخوه بشيء من سلاها فترأمه وتدر عليه. وهو البو؛ قال البحتري:

إن الزمان زمان سو
وجميع هذا الخلق بو

يقصد الشاعر بقوله هذا أن جميع الناس فارغون من الحياة فراغ البو. وقال متمم بن نويرة اليربوعي:

فما وجد أظآرٍ ثلاث روائم
رأين مجراً من حوار ومصرعا
يذكرن ذا البث الحزين ببثه
إذا حنت الأولى سجعن لها معاً
إذا شارفٌ منهن قامت فرجعت
حنيناً فأبكى شجوها البرك أجمعا

الرائم: العاطف، والشجو: الحزن، والبرك: الألف من الإبل، وكأن الشاعر يقول: ما وجد نوق ثلاث عطفن على ولد غفلن عنه فافترسه السبع فلما تذكرنه، وطلبنه، رأينه ممزقاً مصروعاً. وقال عمرو بن كلثوم التغلبي:

فما وجدت كوجدي أم سقب
أضلته فرجعت الحنينا

والوجد: الحزن، والترجيع: ترديد الصوت، يقول: فما حزنت حزنا مثل حزني ناقة أضلت ولدها فرددت صوتها مع توجعها في طلبه، ويقصد الشاعر بذلك أن حزنه على فراق حبيبته أشد حزنا من هذه الناقة. وقال قيس بن ذريح:

فأقسم ما عمش العيون شوارف
روائم بَوٍّ حائمات على سقب
تشممنه لو يستطعن ارتشفنه
إذا سفنه يزددن نكبا على نكب
رئمن فما تنحاش منهن شارف
وحالفن حبسا في المحول وفي الجدب

الرائمة: الناقة العطوف على ولدها وغيره من الحيران. والحائل: الناقة التي لا تحمل. والمتبع: التي يتبعها ولدها، والسقب: ولد الناقة، وساف الشيء: شمه، والنكب: ظَلَع البعير وقيل: داء يأخذ الإبل في مناكبها

تظلع منه وتمشي منحرفة. وقال علي بن الجهم:

فأصبحْت كمراح الشول حافلة
من كل لاقحة في بطنها درر

المراح: مأوى الإبل، والناقة الشائلة: هي الناقة اللاقحة التي تشول بذنبها للفحل علامة للقاحها، إضافة لرفع الذنب فهي ترفع رأسها وتشمخ بأنفها. ويقول نابغة بني جعدة:

عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا
من الهضبة الحمراء عزا ومعقلا

والضروس: الناقة حديثة الولادة، وسميت ضروساً لأنه يعتريها عند نتاجها (ولادتها) عضاض لأيامٍ من باب الحذر على ولدها ثم تذهب عنها هذه الحالة بعد فترة.

التلقيح الصناعي

تمكن علماء وباحثو مركز الشيخ خليفة بن زايد لأبحاث الهندسة الوراثية في مدينة العين بالإمارات العربية المتحدة خلال عام ١٩٩٠م، من الحصول على نتائج قيمة وباهرة لإكثار هجن السباق الممتازة بواسطة عملية التلقيح الصناعي. وهو أمر يحدث لأول مرة في العالم (الشرق الأوسط ١٩٩٠: ع ٤١٥٨).

وتتلخص التجارب العلمية التي أُجريت بنجاح في المختبر وعلى مدى ١٦ شهراً، في اختيار النوق ذات الصفات الوراثية الممتازة وتلقيحها صناعياً. ثم إعادة زرع البويضات المخصبة المأخوذة من النوق الواهبة في أرحام نوق أخرى (المتلقية) لتقوم بدور الأم الحاضنة (الحمل والولادة) لهذه البويضات، وهي طريقة ما يسمى بأطفال الأنابيب، فتولد سلالة من الإبل تحمل كل التراكيب الوراثية الممتازة، والمرغوب فيها، من النوق الواهبة. إضافة لما تقدم، فقد تمكن العلماء في هذا المركز من حفظ البويضات المخصبة، التي تحمل الصفات الوراثية المطلوبة، دون أن تتلف أو تفسد لعدة سنوات لحين إعادة زراعتها عند الحاجة في الأرحام الحاضنة، حتى بعد هلاك الأم والأب الأصليين. إذ يمكن الحصول على أبناء يحملون صفاتهما نفسها، وذلك باستخدام طرق خاصة للتبريد، وأوعية مناسبة لهذا الغرض. ويأمل علماء المركز مستقبلاً أن تمكنهم النتائج العلمية الجيدة التي حصلوا عليها، من شق البويضة المخصبة إلى نصفين، وإنتاج توائم من الإبل مشابهة ومطابقة للأب والأم الأصليين. كما يأملون أن تمكنهم أبحاثهم من التعرف على أسباب العقم

عند بعض الإبل، مع إيجاد الحلول المناسبة لذلك.

وقد تمت عملية التلقيح الصناعي هذه على ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة البحث المتعلقة بعملية التلقيح الأحادي، حيث أخذت في هذه المرحلة بويضة مخصبة من ناقة ونقلت إلى ناقة أخرى، باستخدام أنبوبة بلاستيكية دقيقة ثم إدخالها قرب المبيض عبر الرحم.

المرحلة الثانية: أطلق علماء المركز على هذه المرحلة مرحلة التلقيح المتعدد. وتم فيها إخصاب أكثر من بويضة من الناقة، لكي تنقل هذه البويضات المخصبة إلى عدة نوق أخر. ومع نجاح هذه المرحلة أصبح بإمكان علماء المختبر، ولأول مرة، حث النوق على إنتاج المزيد من البويضات وذلك باستخدام الخمائر (الإنزيمات).

المرحلة الثالثة: تمكن علماء المختبر في هذه المرحلة من حفظ البويضات المخصبة التي تم جمعها لحين زراعتها في أرحام النوق عند الحاجة لذلك.

وقد جاء في جريدة الرياض:

تم في دبي مساء أمس لأول مرة على المستوى العالمي تلقيح ناقتين ببويضة واحدة بعد شطرها إلى قسمين وذلك بواسطة الأنابيب.

وذكرت وكالة أنباء الإمارات أن الأطباء المختصين قاموا بسحب البويضة المخصبة من داخل رحم الناقة التي تم زرعها قبل ستة أيام بواسطة الأنابيب، وذلك عن طريق حقن رحم الناقة بعدة ملليمترات وسحبها ثانية مع البويضة المخصبة، ومن ثم تم قطع البويضة إلى نصفين بواسطة مشرط خاص في عملية دقيقة وحساسة للغاية تعتبر الأولى من نوعها في العالم. وصرح مدير المستشفى البيطري بدبي الدكتور أحمد بيلا أن وزير الدفاع الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم أمره بتعميم التجربة في العام القادم على نحو مائتي ناقة في دولة الإمارات، وذلك بهدف تحسين وزيادة النسل والسلالات وتنويع الفائدة من الهجن مشيراً إلى أن هناك هجناً للحليب وأخرى للإنجاب وثالثة للسباقات (١٤١٣: عدد ٩٠٢٤).

ومن جهة أخرى، بدأ الاهتمام العلمي والبحث في مجال الإبل وتنميتها وتطويرها يأخذ صفة الشمول، إذ أصبحت هناك بعض المراكز المعنية ببحوث الإبل في الدول الآسيوية والأفريقية التي

تكثر فيها هذه الحيوانات النافعة، وفي بعض الدول الأوروبية التي بدأت تسهم تقنياً في العناية بالإبل ومساعدة بعض الدول في هذا السبيل.

ففي خبر نشرته جريدة الشرق الأوسط، أن المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (ACSAD) أصدر أول فهرس مرجعي عن الإبل ضم ٢٥٢٨ بحثاً، كما أنشأ «شبكة بحوث وتطوير الإبل» وذلك بدعم من الصندوق الدولي للتنمية الزراعية (إيفاد) والحكومة الفرنسية، ويشمل نشاط هذه الشبكة دولاً أفريقية وآسيوية تمثل الإبل فيها أهمية اقتصادية.

وتهدف الشبكة إلى دعم نشاطات بحوث الإبل في المؤسسات الوطنية في تلك الدول من خلال مشروعات متخصصة لتعزيز القدرات الفنية وتطوير ونقل التقنيات الملائمة في تربية الإبل، وفي تصنيع وتسويق ألبانها ولحومها، وكذلك التنسيق بين مراكز وشبكات الإبل، وتبادل ونشر نتائج البحوث المتعلقة بها، ومن أهدافها أيضاً تدريب كادر فني مؤهل لتنفيذ أنشطة دراسات وبحوث الإبل في الدول الأعضاء في شبكة بحوث وتطوير الإبل والتعرف على واقع إنتاج الإبل في هذه الدول ومشاكل الإنتاج فيها، والتعرف على أنشطة العاملين في مراكز تربية وبحوث الإبل فيها.

ويذكر الدكتور محمد فاضل وردة مدير الإنتاج الحيواني في ACSAD (مقره دمشق) أن شبكة بحوث وتطوير الإبل قامت مؤخراً بإجراء الدورة التدريبية الأولى على تحسين إنتاج الإبل، وذلك على مدى عشرة أيام وشارك فيها متخصصون من الدول الأعضاء في شبكة بحوث وتطوير الإبل، وهي السعودية وعمان وسورية والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسودان والصومال وإيران وباكستان.

وتعرف المتدربون على واقع الإبل ومنتجاتها، وتصنيعها وتكثيرها، واستخدام الحاسب في تسجيل وتحليل البيانات، واقتصاديات إنتاج الإبل والتحسين الوراثي لها، وأهم أمراضها وسبل مكافحتها، والطفيليات التي تصيبها، كما زار المتدربون محميات البادية السورية ومراكز تربية الإبل في تدمر ودير الحجر ووادي الغريب. وتستهدف بعض نشاطات ACSAD الوقوف على أسباب تدني إنتاجية الإبل وتعدادها، إذ يبلغ عددها في العالم حوالي ١٨,٥ مليون، تشكل الإبل ذات

السنام الواحد حوالي ٩٥٪ منها وتمتلك الدول العربية معظمها. وهي توفر سنوياً حوالي ٣٢١٨ ألف طن من الحليب، وحوالي ٣٥٧ ألف طن من اللحوم الحمراء. ويواجه إنتاج الإبل صعوبات ومعوقات كثيرة قد يكون أهمها حالياً تعرض مناطق انتشارها إلى موجات متتالية من الجفاف القاسي الذي يجبر الرعاة على النزوح مع قطعانهم إلى مناطق التجمعات السكانية، وإلى تبدل نظم إنتاجها، ومن ثم فإن الإبل تفقد قاعدتها الرعوية الأساسية، الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم المشكلات التي تعيق الإنتاج.

أسنان الإبل

يدل تحديد أسماء الإبل عند العرب على شدة اهتمامهم بها. فأخذوا يسمونها مرة تبعاً لألوانها، ومرة تبعاً لأعمارها، وثالثة تبعاً لسلالاتها، ورابعة بحسب القوة والنشاط، وخامسة بحسب العمل أو المهمة التي تقوم بها، وسادسة بحسب جماعات الإبل وعددها. كما نجد أسماء خاصة لإبل بعينها يختارها صاحبها، بل أسماء لذكور الإبل وأسماء لإناثها وهكذا. وما هذه التسميات سوى صفات أطلقوها على الإبل، فترسخت مع الزمن وأصبحت بمنزلة الأسماء. وقد تعددت هذه الأسماء واختلفت باختلاف القبائل، وتنوعت بتنوع الجهات والأقاليم واللهجات، وتناقلتها الأجيال فأصبحت جزءاً من التراث الشعبي.

ولأعمار الإبل علاقة وطيدة بالأسماء التي أطلقها العرب عليها. كما أن ثَمَّ علاقة وطيدة أخرى بين أسماء الإبل وأعمارها من جهة، وبين أعمارها وأسنانها من جهة أخرى، لأن حركة تطور الأسنان وتبدلها تتوازى مع حركة تطور العمر. ولذلك أصبحت عبارة «سن البعير» مرادفة لعبارة «عمر البعير» ثم توسع العرب في استعمال كلمة «سن» لإطلاقها على العمر حتى تجاوزت الحيوان إلى الإنسان. وهذه العلاقة بين العمر والسن تعارف عليها العرب في القديم والحديث، فجاء في كتب الحديث الشريف (باب أسنان الإبل) وكذلك في

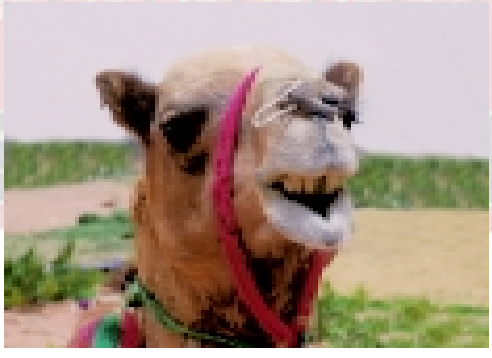

أسنان الإبل تحدد أعمارها

كتب اللغة، ويراد به أعمارها؛ لذلك قالوا في المثل الشعبي «من فرها عرف سنها» أي عمرها، وإذا قالت البادية «إبل مسان» أي: لا تزال شابة، وهي من جذعة وثَنْية إلى سِدَس، فمن هنا جاء تحديد عمر البعير بالنظر إلى أسنانه، خاصة بملاحظة ظهور وتبدل قواطعه الأمامية حتى ثماني سنوات. وبعد تسع سنوات يتحدد العمر بمدى تآكل الأنياب وشكل القواطع. ويقوم بروز الناب خاصة في فم البعير بدورٍ مهم في تحديد عمره؛ فإذا اشتد ناب البَعير وغلظ قيل «عصل نابه»، فإذا طال واصفر قيل «عرد نابه» وهو من عرود النبات وطوله، فإذا جاوز سن العرود فهو عود.

والناب: المسنة من النوق، وفي الحديث «لهم من الصدقة الثّلب والناب» والجمع النِّيب، وفي المثل «لا أفعل ذلك ما حنت النيب»، ولذلك قال ابن الرومي في رثاء ابنه:

وإني، وإن مُتّعتُ بابنيّ بعده
لذاكره ما حنّت النيب في نجد

وتسمية الناقة بالناب من باب تسمية الكل بالجزء. وعندما يبدأ البعير في السنة السادسة تكون قد سقطت أسنان الرضاعة وحلت محلها ثنايا جديدة، ولذا يسمى الثني، فإذا أتم ست سنوات وبدأ في السابعة أصبح مجموع ما انقلع من أسنانه أربع أسنان، وهنا سمي الرباع، فإذا أتم سبع سنوات وبدأ في الثامنة وأصبح مجموع ما قلعه من الأسنان ستة سمي السديس، إلى أن يفطر الناب الأول فيبدأ في حساب جديد ويسمى الجمل حينئذٍ فاطراً، فإذا ظهر الناب سمي في السنة الأولى فطر أول، وفي السنة الثانية فطر ثان، وفي الثالثة فطر ثالث، وتقول البادية للجمل شاقْ وللناقة فاطرْ. وبعد ذلك يشق الأسيْود، وهو ناب صغير حالك السواد حين ظهوره، فيستدل بذلك اللون على أن البعير قد بلغ منتصف العمر تقريباً ثم يبدأ هذا اللون الأسود يزول ويتحول السن إلى اللون الأبيض، ويعني ذلك أنه بدأ في الكبر والتهرش.

وقد اصطلح الناس على تسمية هذه المراحل دون تحديد السن:

القعود: هو الذكر من المفرود إلى الثني، والجمل: هو الذكر الذي اكتمل نموه، من الرباع إلى ظهور الأسيود، والهِرش: هو البعير الذي بلغ سن الشيخوخة، والثلب: وهو البعير في نهاية عمره. أما الأنثى فتسمى البكرة: من حوارة إلى لقية، وتسمى في بادية الجنوب عجم إلى أن تلقح. فإذا وصلت الرباع ولم تلقح فهي معدي. ويقال «ناقة بكر» إذا أنتجتْ بطنها الأول و«ناقة ثِنو» إذا أنتجت بطنين، و«ناقة أم ثالث» إذا

أنتجت ثلاثة بطون، وكذلك «ناقة أم رابع» وهكذا؛ قال ذو الرمة:

إذا غرقت أرباضها ثِني بكرة
بتيهاء لم تصبح رؤوما سلوبها

وأم خامس: لها خمس ولدات: يقال لها خماس، ويكون بهذه الحالة قد بقي فيها من الولادات قدر ما مضى منها، ويقدرون أن الناقة تلد في المتوسط حوالي اثنتي عشرة ولدةً وربما زادت على ذلك.

الناقة: وهي التي تم نموها واكتملت وبلغت متوسط العمر ابتداءً من الثنية حتى ينفطر نابها. ويقال عنها سن، أي ما زالت صغيرة في عمرها.

الناقة الفاطر: ابتداء من فطر نابها، ويقال فطر الناب إذا شق وظهر، وعندما يبدأ الناب بالفطور تكون الناقة بأوج قوتها واكتمالها، ولذلك كثر وصفهم لها بالقوة في ذلك العمر، قال سعدون العواجي:

ياراكبٍ من عندنا فوق مهذاب
مامون قطّاع الفيافي ليا انويت
حرٍّ صغير وتو ما شَقّ له ناب
عقد القرا يجدع رجال لهم صيت

وقال عدوان بن راشد الهربيد:

ياراكبٍ من فوق بنت العماني
وقم الرباع وتو ما شق نابه

وقال تركي بن صنهات بن حميد:

ياراكبٍ من عندنا نابية شط
تشدى ظليمٍ بالخلا صايعه ذور
وقم الرباع ونابها ما بعد نط
تكسر عْصِيّ الكور لو كان ماسور

وسمت العرب صغار الإبل الدرادق، قال قيس بن جروة الطائي:

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى
وما خبَّ من بطحائهن درادقه

والإبل الصغيرة تسمى الدِّقْ، ودِق الإبل هي الحشو، والحشو من مفرود إلى لقي (حقه)، والقعدان والبكار. والكبيرة الجِل وقيل: الجل السِّمَان، والجِل: الإبل الثقيلة الكبيرة، وجل الإبل من أم ثالث فما فوق إلى الفاطر (الجل ما تجاوز الثنية، وإن كان المقصود بها بوجه عام كبار السن منها). قال همیان بن قحافة:

يتبعن دهماً جلةً حراججا
كوما كأن فوقها هوادجاً

ومن الحداء:

ياسعد قد للجلي
نِيّة قلّيب خلي

ومن الحداء أيضاً:

يامرحبا واهلي
بيدقهن والجلي

ومن الحداء أيضاً:

البل يابهيدله
البل دقّه جله

وكثير من كتب اللغة عددت أعمار الإبل وصنّفتها وأطلقت عليها أسماء ترسخت في متن اللغة، وشواهد ذلك موجودة مثلاً في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، والمخصص لابن سيده، ونظام الغريب للربعي، فضلاً عما تفرق في معاجم الألفاظ، والمعاني وما أكثرها.

ومنذ القديم وقف العلماء عند ظاهرة عمر البعير؛ إذ عدوه من الحيوانات متوسطة الأعمار، ونادراً ما يصل عمره إلى الثلاثين. وهذه أسماء الإبل وصفاتها وفقاً لتطور أعمارها:

السليل أو السقب. هو ولد الناقة ساعة تضعه قبل أن يُعلم أذكر هو أم أُنثى، ويسمى حواراً، فإذا كان ذكراً فهو سقب، ويقال: صقب. ولا يقال للأنثى سقبة، وأمه مسقب. والسليل عربية فصحى، جاء في اللسان قوله: إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى، وجمع السقب: أسقُب، وناقة مسقاب: إذا كانت عادتها أن تلد الذكور، وفي الأمثال «أذل من السقبان بين الحلائب»، وقد أسقبت الناقة: إذا وضعت أكثر ما تضع الذكور.

الحوار. من ولادته إلى ستة أشهر، وسمي بهذا الاسم لأن أمه تحير عنده ولا تسير إلا وهو معها ولمدة ستة أشهر من تاريخ ولادته. والحوار ينهض ويسير على مهل مع أمه خلال ساعات من ولادته تقريباً. والحوار العجي هو الذي ماتت أمه وغذي بلبن غيرها. وهذا الحوار يألف الراعي ويتبعه، وتبلغ الألفة بينهما أن الحوار قد يوقظ الراعي من النوم ليلاً إذا جاع، فيحلب الراعي له ويقدّم له

سليل أو سقب بجوار أمه

حوار في شهره الأول

البو

الحليب في إناء خاص ويسقيه (يوجّره) حتى يشبع، وتسمى الأنثى عجية.

وقد ورد ذكر الحوار في التراث كثيراً فقالت العرب في أمثالها «أذل من حوار»، وقال ذو الرمة:

يطرحن حيراناً بكل مفازة
سقباً وحولاً لم يتم تمامها

ويتصل بالحوار البو: وهو جلد الحوار إذا حشي تبناً أو ثماماً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها أو ذبح، ثم يُقرَّب إلى أم الحوار الذي مات لترأمه فتدر عليه؛ قال الشاعر:

فما أم بوٍّ هالك بتنوفةٍ
إذا ذكرتْه آخر الليل حنّتِ

وكذلك يتصل به الدهاي: اسم يطلق على الحوار أو المخلول المصاب بالمرض كالقرع، ويكون مصاباً بالهزال والضعف. قال الشاعر:

تلقى الدهايا في حضون المفاليس
شروى هليم الضان ما يطرد الجوع

وكذلك مما يتصل بالحوار تسمية الراشح: جاء في لسان العرب: رشحت الأم ولدها باللبن القليل: إذا جعلته في فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى على المص. وهو الرشيح. ورشحتْ الناقة ولدها: هو أن تحك أصل ذنبه وتدفعه برأسها وتقدمه، وتقف عليه حتى يلحقها، وتزجّيه أحياناً أي تقدّمه وتتبعه. وترشّح هو: إذا خالطها ومشى معها وسعى خلفها ولم يعنّها، وقيل: إذا قوي ولد الناقة، فهي مرشح، وولدها راشح والجمع رُشّح، قال الأصمعي: إذا وضعت الناقة ولدها فهو سليل، فإذا قوي ومشى فهو راشح، وأمه مرشح، فإذا ارتفع عن الراشح فهو خال.

المخلول. (من ٦ إلى ١٢ شهراً) وتسميته تلي تسمية الحوار، وهي من بداية الصيف إلى عشار أمه في الشتاء، سمي بذلك لأنه يوضع له خلال حتى لا يرضع أمه. وفي المثل «حَنة مخاليل». ويطلق عليه هذا الاسم أيضاً عندما يبدأ في شرب الماء في الصيف؛ ولأنهم يضعون في أنفه الخلال منعاً له من الرضاع، ولكي يعطش فيشرب الماء، ويجوع فيأكل العلف، والخلال عود بطول ١٠سم تقريباً يغرز في أنف الحوار (الحبردي، ١٤٠٩: ٥٤).

قال صاحب لسان العرب: وفصيل مخلـول إذا غُرز خلال على أنـفه لئلا يرضع أمه؛ وذلك أنها تزجيه إذا أوجع ضرعَها الخِلال، والخلال: عـود يجعل في لسان الفصيل لئلا يـرضع ولا يقدر على المص. قال امرؤ القيس:

فـكـــرّ إلـيـــه بمـبـــراتـــه
كـمـا خلَّ ظـهـرَ الـلـسان المُـجِـرّ

وقيل: خلـه: شق لسانه ثم جعل فيه ذلك العود.

المفـرود أو الفصـيل. (من سـنة إلى سنتـين) أو هو ما أتم سنـة من عمره، فيكـون قد انفرد أي انـفصل عن أمـه، واعتمد علـى نفسه في الرعي والشـرب لمدة سـنة أخـرى. والمفـرود، وجمعـه مفاريد، هو الفصيل وابن المخاض واللطيم والأفيل، ويقال: سمي مفـروداً لأن أمه طردته لـعشارها ولعدم قـبولها رضاعـه منها. قال الشيخ خلف بن دعيجاء:

مـا لافـتن عـنـد اول الـذود لابـنِ
ولا مـصّهـن مفـرودهـن بالـفطـام

وقال مشارع الجعيري الشراري:

يوم انـتحـوا في جـلّهـن والمفـاريد
أرخصـت خبره غالـي العمـر غادي

ويطلق علـيه الفصيل لأنه انفصل عن أمـه. وهذه كلـها يطـلق علـيهـا

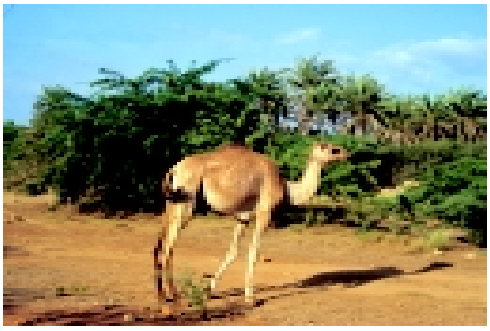

حوار مفرود مقيد

المقهور: حيران تجمع وتحجز في مكان منفصل عن أمهاتها التي تترك ترعى بحريتها بعيداً عن حيرانها لئلا ترضعها.

حاشي، والجمع (حشوان)، ومن حداء الإبل:

الـــفـــاطـــر ام الحـــاشـــي
مـــن درّهـــا نـــعـــتـــاشـــي

ومن الحداء أيضاً:

مـــزهـــومـــةٍ وتـــطـــرّدي
والحـــشـــو عـــنـــهـــا شـــرّدي
نـــاقـــتـــك يـــاولـــد الـــردي

قال مؤرج السدوسي: إن المنتوج يدعى فصيلاً إذا شرب الماء وأكل الشجر وهو بعد يرضع. فإذا أرسل الفحل في الشول سميت أمه مخاضاً ودُعي ابنها ابن مخاض، وهو المفرود. والمخاض: الحوامل من النوق، وفي المحكم: التي أولادها في بطونها، واحدتها خَلِفة على غير قياس، ولا واحد لها من لفظها. ومنه قيل للفصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية: ابن مخاض، والأنثى ابنة مخاض، وإنما سميت الحوامل مخاضاً تفاؤلاً بأنها تصير إلى ذلك وتستمخض بولدها إذا نُتجت، وقال الأصمعي: إذا حَمَلْتَ الفحل على الناقة فلقحت فولدها إذا استكمل سنة من يوم ولد ودخل في السنة الأخرى فهو ابن مخاض؛ لأن أمه لحقت بالمخاض من الإبل وهي الحوامل، وقال ثعلب: المخاض: العشار يعني التي أتى على حملها عشرة أشهر، وقال ابن سيده: لم أجد ذلك إلا له، أعني أن يعبر عن المخاض بالعشار، وتدخل الألف واللام على ابن مخاض فيقال ابن المخاض، كما قال جرير:

وجدنا نهشلاً فضلت هجيماً
كفضل ابن المخاض على الفصيل

وهذا البيت يشرحه قول العرب في أمثالها «كفضل ابن المخاض على الفصيل» أي الذي بينهما من الفرق قليل، وهو المعنى الذي ورد في بيت جرير. وقال أبو تمام:

عادت المكرمات بزلاً، وكانت
أدخلت بينها بنات المخاض

ويسمى ابن المخاض الخَل، والأنثى خَلة.

واللطيم: الصغير من الإبل الذي يُفصل عند طلوع سهيل، وذلك أن صاحبه يأخذ بأذنه ثم يلطمه عند طلوع سهيل ويحلف ألا يذوق قطرة لبن بعد يومه ذلك. ثم يصر أخلاف أمه كلها ويفصله عنها، ولهذا قالت العرب «إذا طلع سهيل، برد الليل، وامتنع القَيل، وللفَصيل الويل»؛ وذلك لأنه يُفصَل عند طلوعه، وقال الجوهري: اللطيم: فصيل إذا طلع سهيل أخذه الراعي وقال له: أترى سهيلاً؟ والله لا تذوق عندي قطرة! ثم لطمه ونحاه، وقال ابن الأعرابي: اللطيم أيضاً الفصيل إذا قوي على الركوب لُطِم خده عند عين الشمس، ثم يقال: اغرُب، فيصير ذلك الفصيل مؤدَّباً ويسمى لطيماً. ومن جهة أخرى تطلق

اللطيم على العِيْر التي تحمل المسك والطيب وبزّ التجار، وتسمى اللطيمة أيضاً.

كما يسمى الأفيل: جاء في لسان العرب: قال ابن سيده: الأفيل ابن المخاض فما فوقه، والأفيل: الفصيل، والجمع إفال وهي صغار الإبل بنات المخاض ونحوها، والأنثى أفيلة. ومنه قول زهير:

فأصبح يُجرى فيهُم من تلادكم
مغانم شتى من إفالٍ مُزَنّم

قال الشاعر سالم بن قحفان:

فإنّيَ لا تبكي عليَّ إفالها
إذا شبعت من روض أوطانها بقلا

اللقي. (من سنتين إلى ثلاث) وهو الذي اتم سنتين من العمر والتقى مع أخيه الذي ولدته أمه بعده. ويطلق عليه في نجد والجنوب الحق، وفي الشمال اللقي. ويسمى ابن اللبون لأن أمه صار لها لبن وتسمى الأنثى بنت لبون. قال الراجز:

إذا سهيل مغرب الشمس طلعْ
فابن اللبون الحِق والحِق جذع

وقال الشاعر:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ
لم يستطع صولة البزل القناعيس

الحِق. (من ٣-٤ سنوات) والأنثى حِقّة، قال الشاعر الشعبي محمد العوني:

تبكين فرقا حقّةٍ شدّة العرب
ضاعت يمين البوش والا شمالها

والجمع لكليهما: حِقاق. الحِق من أولاد الإبل الذي بلغ أن يُركب ويُحمل عليه ويضرب، وقيل: إذا بلغت أمه أوان اللقاح من العام المقبل فهو حِقّ بيّن الحِقة، ويقال: أحقت البكرة إذا استوفت ثلاث سنين. وعرَّفته بعض الكتب بأنه إذا فُصل أخوه وذلك لاستكمال ثلاث سنوات ودخول السنة الرابعة فهو حِق، وفي المثل «حق شايف أخوه» وفي المثل أيضاً «بنت الرشيده الحِقه». وفي المثل أيضاً «حقة شرارات». قال عمارة ابن طارق:

فاعجل بغربٍ مثل غرب طارق
ومسد أمرّ من أيانق
ليس بأنياب ولا حقائق

الجَذَع. (من ٤-٥ سنوات) والجمع جِذْعان. والأنثى جَذَعة، وجمعها جذعات. والجذع البعير إذا استكمل أربع سنوات ودخل في الخامسة.

الثّني. (من ٥-٦ سنوات) والجمع ثِنْيان وثنايا، والأنثى ثنيّة، وجمعها ثِنيّات وثنايا، وهو الذي أتم خمس سنوات وبدأ في السادسة وسقطت منه ثنيتا اللبن في السنة السادسة وحل محلهما ثنيتان جديدتان، قال الراعي:

فقلت لرب الناب خذها ثنيةً
وناب عليها مثل نابك في الحيا

ويقال للثني: بكر وقعود. والقعود هو الذكر الذي بدأ يكتمل، أما البكرة فهي الثنيه التي بدأت تكتمل واستعدت للركوب واللقاح.

وقال أبو عبيدة «البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس، والبكرة بمنزلة الفتاة، والقلوص بمنزلة الجارية، والبعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة» (الدميري ١٩٩٥: ج١، ١٤٩). قال فجحان الفراوي:

ياراكبٍ هجنٍ كبار المثاني
بين الحجر ومحقّبه يوم يرعن
حرايرٍ ومضرّباتٍ عماني
بكرات يزهن كل ابوهن على سن

وقيل: البكر ابن المخاض إلى أن يثني، والجمع أبكار وبكار. وبعد البَكرة تأتي الناقة وهي التي تمَّ نموها واكتملت وبلغت متوسط العمر.

الربّاع. (من ٦-٧ سنوات) والأنثى رباعية وجمعها رباع. وهو من الإبل الذي أتم ست سنوات وبدأ في السابعة، وسقطت اثنتان من أسنانه اللبنية بالإضافة إلى التي سقطت سابقاً عندما كان ثنيا، وصار مجموع ما قلعه أربع أسنان، قال محمد ابن عبدالله التميمي:

ياراكبٍ من فوق حمرا جليله
ومرمّلينه لاختلاف العلومِ
ترعى بقفرٍ عقب ما هي نحيله
وقم الرباع اللي عريبٍ كتوم

وقديماً قال ذو الرمة:

رجال ترى أبناءهم يخبطونها
بأيديهم خبط الرَّباع الجوابيا

السديس. (من ٧-٨ سنوات) وإذا ألقى الجمل السن التي بعد الرباعية فهو سدس وسديس، وذلك إذا أتم سبع سنوات وبدأ في الثامنة. وأصبح مجموع ما قلعه من الأسنان ستاً. ويسمى جالساً أو جلسًا حتى يشق الأسيود؛ قال أحد الشرارات:

حمرا على أول جلس ما شقّت الناب
ولا فلّها ركض العدف والزباره

والجلس: الناقة الوثيقة الجسم المشرفه.

وفي السديس يقول جُبيهاء الأشجعي:

سديساً من الشُّعْر العِراب كأنها
موكرة من دهم حوران صافح
رعت عُشُب الجولان ثم تصيفتْ
وضيعة جلس فهي بدّاء راجح

وقال عبدالله بن حمود السبيل:

ياراكبٍ عشرٍ من الهاربات
ما وقفوهن بالمبيعه للاثمان
أسنان من خامس زمان لقوات
أسداس ما شافوا لهن طلع نيبان

الفاطر. (من ٨-١٠ سنوات) جمع فاطر، وذلك بعد أن يفطر الناب الأول

يبدأ في حساب جديد، تسمى عندئذ فطّر وهي كما يلي:

شق/ فطر أول: وهي السنة الأولى التي فطر فيها الناب.

شق/ فطر ثان: وهي السنة الثانية بعد فطر الناب.

شق/ فطر ثالث: أي السنة الثالثة بعد فطر الناب، قال شليويح بن ماعز العطاوي:

يامن لقلبٍ عانق الفِطَّر الفِيح
كنّه على كيرانهن محزومي

قال محمد البسام:

قودا هميمٍ من بنات عشافر
مامونةٍ ذا تو فاطرها فطرِ

الناب. (من ١٠-١٤ سنة) ويسمى أيضًا المخلف والبازل، وهو الذي شق الأسيود وهو ناب صغير حالك السواد حين ظهوره، وبعد ذلك يتحول إلى اللون الأشقر فيستدل بذلك على أن الجمل قد بلغ منتصف العمر تقريباً ثم يبدأ يتحول إلى اللون الأبيض، ويعني ذلك أن البعير قد بدأ في الكبر أوالتهرش وإذا خرج الناب فقد بزل فهو بازل، وتسمى الناقة في أول البزول الناب ومنيب، وجمعها نيب، قال ابن لعبون:

أبرد إلى ذقته من الثلج مذيوب
شربة ضحى خامس على حنّة النيب

وقال عبدالله القضاعي:

ياراكب اللي تَوّ سِنّه منيبي
عِمْلِيّةٍ ما سطّغوها بالامجار

ولخلف أبو زويد:

مْحَنّي خشوم الفوس من شِمّخ النيب
اللي يعيشون العرب من حليبه

وتسمى الأنثى بازلاً أيضاً بدون هاء وبعضهم يسمى البازل: القهب. قال عدي بن زيد:

لا يستضيف الدهر من شربها
ما حنت النيب إلى النيب

ويقولون في المثل «عض الناب على القارح» ومثله قولهم «شمّخ النيب». وإذا أتى على الجمل عام بعد البزول فهو مخلف ثم يقال مخلف عام ومخلف عامين فصاعداً ثم لا يزال كذلك حتى يصبح عوداً. قال شبيب بن البرصاء:

ومخلفة أنيابها جدلية
يشد حشاها نسعة ونسيج

والمخلفة التي أتى لها عام بعد البزول

العوْد. (من ١٤-١٨ سنة) والأنثى عودة، والبادية تسميها فاطر وهو الذي محا الاسيود وكاد يهرم، والفاطر هي التي قاربت التوقف عن اللقاح. قال جري الجنوبي:

على فاطرٍ هباعة السير والسرى
لها في مهاميه القفار رقيل

وقال آخر:

فاطري ولْيا نوينا بالنكوفه
اصبري والله يعين الصابرينِ
عاد لا فاطر ولا انتيب مْعسوفه
شمّخ النابين مثل الشوكتين

وقال خلف بن حماد بن مسرع الزراع:

ياونتي ونة هزيل المعاويد
عقب العدل خلي بوسط المراحه

الثِلْب. (من ١٨-٢٠ سنة) وهو بعد أن يمحي أسيوده تماماً ويظل كذلك حتى ينتهي هرمه. وإذا أسن فهو الشارف سواء أكان ذكراً أم أنثى. قالت العرب «حمله على الشرف الذلل». الشرف جمع شارف، وهي النوق المسنة. قال أبو تمام:

وكانت كنابٍ شارف السن طرَّقت
بسقبٍ وكانت في مخيلة حائل

وعلى ذكر الثلب من الإبل، وهو الجمل الهزيل كبير السن، يقول حميدان الشويعر:

ياشٍ في راسي له زنّه
كنه يومي في دوّار
إن قمت فلا بد الونه
والمشى كني بِهْجار
وسنوني كبر طاحنّه
وكلي نتشٍ بالاظفار
أشبه لثليبٍ بالعنّه
وان شاف المرعى ما ثار
وان حاول يمشي كنه
في رجله قيدٍ وهجار

وهنا يصف حميدان الشويعر نفسه بعدما كبر سنه وضعفت قواه وسقطت أسنانه حتى أصبح يقطع أكله وينتش اللحم بأظفاره لعدم وجود أسنان له، وإذا مشى فكأنما رجلاه مقيدتان كالثليب من الإبل (تصغير الثلب)، وهو الجمل الكبير سناً والهزيل جسماً، حيث يوضع في مكان (عُنّه) ويحاط عليه بالأشجار لحمايته من البرد، كما أنه لضعفه لا يستطيع أن يقف ولو شاهد المرعى.

الهِرش. (ما بعد ٢٠ سنة) إذا دخل سن الشيخوخة وبدأ يهزل.

وللإبل المسانّ أسماء أخرى منها:

الماجّ: وهو البعير الذي ارتفع عن صفة الثلب، وسُمّي الماجّ لأنه يمجّ ريقه (لعابه) ولا يستطيع أن يحبسه من الكبر. وتسمى الأنثى بهذه الصفة ماجّة. والدرداء من الإبل المسنة، وقيل الجمل الأدرد هو الذي نحلت أسنانه، والأدرم: البعير الذي ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها، والهردش هي الناقة المسنة، والكزم الهرمة من الإبل. وإذا استحكم هرم البعير فهو كِحكح. وهناك نعوت أخرى تدل على الهرم كالدردج، العرزم، والضرزم، والدلقم، واللطلط.